إيليا أبو ماضي

تبر وتراب



دار العلم للملايين

تبر وَتراب

تبر و تراب

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر
شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقيا : ملايين - تلكس : ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى ١٩٦٠

الطبعة الثانية عشرة

كانون الثاني (يناير ١٩٨٦

إيليا أبو ماضي

تبر وتراب

شعر

دار العلم للملايين
ص.ب: ١٠٨٥ - بيروت
تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

وَطنُ النجوم

وطنَ النجوم .. أنا هنا   حدّقْ.. أتذكر من أنا ؟
ألمَحتَ في الماضي البعيد   فتىً غريراً أرعنا
جذلان يمرح في حقولك   كالنسيم مدندنا
المقتنى المملوكُ ملعبهُ   وغير المقتنى !
يتسلق الاشجار لا ضجراً   يحسّ ولا ونى
ويعود بالاغصان يبريها   سيوفاً أو قنا

ويخوض في وحل الشتا		متهللاً متيمّنا
لا يتقي شر العيون		ولا يخاف الالسنا
ولكم تشيطن كي يقول		الناس عنه «تشيطنا»

★

أنا ذلك الولدُ الذي		دنياه كانت ههنا !
أنا من مياهك قطرةٌ		فاضت جداولَ من سنا
أنا من ترابك ذرّةٌ		ماجت مواكبَ من منى
أنا من طيورك بلبلٌ		غنّى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقةَ والبشاشة		من ربوعك للدنى
كم عانقت روحي رباك		وصفّقت في المنحنى ؟
للأرز يهزأ بالرياح		وبالدهور وبالفنا
للبحر ينشره بنوك		حضارة وتمدّنا

للّيل فيك مصلّيـــاً		للصبح فيك مؤذّنــا
للشمس تبطئ في وداع		ذراك كيلا تحزنــا
للبدر في نيسان يكحل		بالضيـاء الأعينــا
فيذوب في حدق المهى		سحراً لطيفـاً ليّنــا
للحقل يرتجل الروائـع		زنبقـاً أو سوسنا
للعشب أثقلـه الندى		للغصن أثقلـه الجنى
عاش الجمال مشرّداً		في الارض ينشد مسكنا
حتّى انكشفت له فألقى		- رحـله وتوطّنــا
واستعرض الفن الجبـال		فكنت أنت الأحسنا
لله سرٌّ فيـك يـا		لبنان لم يعلـن لنـا
خلقَ النجوم وخاف ان		تغوي العقول وتفتنــا
فأعـار أرزك مجده		وجـلاله كي نؤمنــا

زعموا سلوَتك .. ليتهم ... نسبوا إليّ الممكنا

فالمرء قد ينسى المسيء ... ـ المفتري والمحسنا

والخمرَ والحسناء والوتر ... المرنّحَ والغنا

ومرارة الفقر المذلّ ... بلى ، ولذّات الغنى

لكنّه مهما سلا ... هيهات يسلو الموطنا

تحية الشام

حيِّ الشآم مهنداً وكتابا
والغوطة الخضراء والمحرابا
ليست قباباً ما رأيت وإنما
عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصوراً
للعلى سكنت حصى وترابا

واهبط على بردى يصفق ضاحكاً
يستعطف التلعات والاعشابا

روحٌ أطلَّ من السماء عشية
فرأى الجمال هنا فحنَّ فذابا

وصفا وشفَّ فأوشكت ضفاته
تنساب من وجدٍ به منسابا

بل أدمع حورُ الجنان ذرفنها
شوقاً ولم تملك لهن ايابا

بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا
وبني النهى فترشفوك رضابا

مرّت بك الادهار لم تخبث ولم
تفسد وكم خبث الزمان وطابا

★

بأبي وأمي في العراء موسّدٌ
بعث الحياة مطامعاً ورغـابا

لما ثوى في ميسلون ترنحت
هضباتها وتنفست أطيـابا

وأتى النجوم حديثه فتهافتت
لتقوم حراساً لـه حجّـابا

ما كان يوسف واحداً بل موكباً
للنور غلغل في الشموس فغـابا

هذا الذي اشتاق الكرى تحت الثرى
كي لا يرى في جلّق الأغرابا

وإذا نبا العيش الكريم بماجـد
حرٍّ رأى الموت الكريم صوابا

اني لأزهى بالفتى وأحبــه
يهوى الحياة مشقة وصعابا

ويضوع عطراً كلما شد الاسى
بيديه يعرك قلبــه الوثّابا

ويسيل ماءً ان حواه فدفدٌ
وإذا طواه الليل شعّ شهابا

وإذا العواصف حجّبت وجه السما
جدل العواصف للسما اسبابا

وإذا تقوض صرحُ آمال بنى
أملاً جديداً من رجاءٍ خابا

فابنُ الكواكبِ كل افق افقهُ
وابن الضراغم ليس يعدم غابا

★

عجباً لقومي والعدو ببابهم
كيف استطابوا اللهو والألعابا
وتخاذلت أسيافهم عن سحقه
في حين كان النصر منهم قابا
تركوا الحسام إلى الكلام تعللا
يا سيف ليتك ما وجدت قرابا
دنياك يا وطن العروبة غابة
حشدت عليك أراقماً وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً
واجعل لسانك مخلباً أو نابا
لا شرْع في الغابات إلا شرعها
فدع الكلام شكاية وعتابا

هذي هي الدنيا التي أحببتها
وسقيت غيرك حبها أكوابا

وضحكت مع أحلامها وبكيت في
آلامها وجرعت معْها الصابا

وأضل روحك في السرى وأضلها
ما خِلته ماءً فكان سرابا

ونظرت والاوصاب تنهش قلبها
فرأيت كل لذاذة اوصابا

شاء الظلوم خرابها فاذا الورى
لا يبصرون سوى نهاه خرابا

دنيا تألق أمسها في يومها
فاستجمع الانساب والاحسابا

وسرى سناء الوحي من آفاقها
يغشى العصور ويغمر الاحقابا

الحق ما رفعت به جدرانها
والخير ما زانت به الابوابا

فاستنطقِ التاريخ هل في سِفره
مجد يضاهي مجدها الخلابا ؟

شابت حضاراتٌ ودالت وانطوت
أمم ومجد أميةٍ ما شابا

الأمس كان لها وانّ لها غداً
تتلفت الدنيا له اعجابا

غنّيتَ من قبلُ المحولة والعرا
أفلا تغني الروضة المخصابا ؟

عطفت لياليهـا عليك بشاشـة
فانس الليـالي غربة وعذابا
وانشر جناحك فالفضاء منوّرٌ
واملأ كؤوسك قد وجدت شرابا
فلشدوِ مثلك كوّنت ولمثلهـا
خلقَ الالهُ البلبل المطرابـا

★

ليت الرياض تعيرني ألوانهـا
لأصوغ منها للرئيس خطابا
وأقول اني عاجز عن شكره
عجْز الانامل ان تلم عبابا

أشكو إلى نفسي العياء فتشتكي
مثلي وتصمت لا تحير جوابا
فلقد رأيت البحر حين رأيتـه
فوقفت مضطرب الرؤى هيابا
أعميد سوريا وكاشف ضرها
خلقت يداك من الشيوخ شبابا
وبلابـــل كانت تئن سجينة
أطلقتهـــا وأطرتهـــا اسرابـــا
يا صاحب الخلق المصفّى كالندى
لو لم تكن بشراً لكنت سحابا
أمل الشبيبة في يديك وديعـــة
فارفع لهـــا الأخلاق والآدابا

فالجهل انّى كان فهو عقوبة
والعلم انّى كان ، كان ثوابا

يا ويح نفسي كم تطاردني النوى
وتهدّ مني القلب والاعصابا

ودّعت خلف البحر أمس أحبة
وغداً أودع ها هنا أحبابا

الشاعر والكأس

بات والكأس في الظلامْ   في حديث ولا كلامْ
هي في صمتها تضيء   وهو في صمته يُضام
شاعر انفق الصبا   من غرام إلى غرام
ذاهل النفس بالرؤى   عن حطام وذي حطام
وعن الفقر والغنى   وعن الحرب والسلام
بالشفاه التي طفا   بين أهدابها الأوام

بالغواني تطيعـــه والغواني لهـــا احتكام
بالشذى وهو فـائـح والشذى وهو بالكمام
بالسحاب الذي يسـح وبالخـادع الجهـام
بالأغاريـد والبلابـل والنـور وألحـزام
حوله الكون في وغـى وهو والكون في وئام

★

ما لهُ الآن وحـده ساكن العِرق كالنيام
ساهر غـير انـــه خادر الروح والعظام
صامت مثـل كتبـه وكدنيا بـلا أنـام
أترى عضّـه الطوى ؟ لا . ففي بيته طعام
لم تزل كـأسه لديـــه وفي كـأسه مدام
وله تضحك الـبروق ويبكي الحيـا السجام

وله ترتعي الكواكب في مسرح الظلامْ
وله تلبس الربى بُرُدَ النور والغمام
وله يعبق الشذى وله تُعصر المدام
وله يلمعُ الندى وله يسجع الحمام
وله الغادة المليحة والفارس الهمام
كلها . كلها لهُ وعلى غيره حرام
وهو ساهٍ كأنما بسواها لهُ مرام
وجهه غيرُ وجهه ! أم على وجهه لثام
كالتماثيل حولهُ من نحاس ومن رخام
لا اكتئاب ولا رضى لا بكاء ولا ابتسام
ليلة ما أمرّها ليلة اليأس ألف عام
بقي الحسن انما مات في الشاعر الهيام
فاذا الكون عنده جدثٌ كله رِمام

موكبُ التراب

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له أمام داره، فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرادق . وكان في مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

من أين جئت ؟ وكيف عجت ببابي ؟
يا موكب الاجيال والأحقابِ

أمن القبور ؟ فكيف من حلّوا بها
أهنـاك ذو ألمٍ وذو تطـرابِ ؟

ولهم صبـابات لنـا ؟ أم غودروا
في بلقـع مـا فيـه غـير خراب ؟

★

أمررت بالأعشاب في تلك الربى
وذكرت انك كنت في الأعشاب

حول الصخور النـائمات على الثرى
وعلى حواشي الجـدول المنسـاب

وعلى م تصعـد كالسحابة في الفضا
وإلى التّراب مصـير كل سحاب

لمـا طلعت عـلى الشعاع موزعـاً
مترجرجـاً كخواطر المرتـاب

وذهبت في عرض الفضاء كخيمـة
رُفعت بلا عمـدٍ ولا أطنـاب

قال الصحاب ليَ : استتر وتراكضوا
للذعـر يعتصمـون بالأبـواب

وهبِ اتقيتك بالحجـاب فـأنني
لا بدّ خالعـه وأنت حجـابي

كم سارحٍ في غـابة عند الضحى
جـاء المساء فكان بعضَ الغـاب

ومصفـق للخمـر في أكوابـه
طربـاً وطيف الموت في الأكـواب

أنا لو رأيت بك القذى محض القذى
لسترت وجهي عنك مثل صحابي
لكن شهدت شبيبة وكهولة
ومنىً وأحلاماً بغير حساب
والشاربين بكل كأس والألى
عاشوا على ظمأ لكل شراب
والضاربين بكل سيفٍ في الوغى
والخانعين لكل ذي قرضاب
والصارفين العمرَ في سوق الهوى
والصارفين العمر في المحراب
والغيد بين جميلة ودميمة
والعاشقين — الصبّ والمتصابي

والعبـــد في أغـــلاله وحبـــاله
والملك في الديبـــاج والأطيــاب

آبوا جميعـــاً في طريق واحـــدٍ
الحـاسر المسبيّ مثــلَ السابي

فضحكت من حرصي على ملك الصبا
وعجبت كيف مضى عليه شبابــي

ووقعت أنت عــلى ترابٍ ضاحك
لمــا وقعت عليّ في جلبـــابي

وكذاك أشواق الـتراب مـآلهـــا
ولئن تقـــادم عهدهـا لترابِ

أين عصر الصبا

مالي وما للرشأ الأغيـــدِ
خلتُ من الحب ومنه يدي
نأى فما في قربه مطمع لا تصل الكف إلى الفرقد
قطّعت باليـأس خيوط المنى
وقلت للسلوان — لا تبعد
وصرت لا يطربني منشدٌ ولا أنا أصبو إلى منشد

أسير في الروضة عند الضحى
حـيران كالمدلـج في فدفد
أماميَ الماء ولا ارتــوي وحولي النور ولا أهتدي
يا ليت شعري أين عهد الصبا
وأين أحـلام الفتى الأمرد
ولّى وولّت كخيال الكرى يلوح في الذهن ولم يوجد
فيا قلوب الـكاشحين اسكني
ويا عيـون الحاسدين ارقدي
ويا شياهاً تتقي صولـتي قلّمت أظفاري فاستأسدي

★

يا سائلي عن أمس كيف انقضى
دعه وسلني يا أخي عن غد
أروَحُ للنفس وأهنا لهـا ان تحسبَ الماضيَ لم يولد

الصّيف

عاد للأرض مع الصيف صباها
فهي كالخود التي تمت حُلاها
صورٌ من خضرة في نضرة
ما رآها أحد إلا اشتهاها
ذهبُ الشمسِ على آفاقها
وسواد الليل مسكٌ في ثراها

ونسيم الفجر في أشجارهــا
وشوشات يُطرب النهر صداها

والسواقي فــتنٌ راقصــة
ضحكها شدوٌ وتهليلٌ بكاها

والاقاحي صور خلابــة
وأغاني الطير شعر لا يضاهى

إنهــا الجنة فاعجب لامرئٍ
هو فيهــا وقليلاً ما يراهــا

أيهــا المعرض عن أزهارهــا
لك لو تعلم يا هذا شذاها

أيهــا النــائم عن أنجمهــا
خلق الله لعينيك سناهــا

أيها الكابح عن لذاتهـــا
نفسه ، هيهات لن تُعطى سواها

لا تؤجـل لغدٍ ليس غـدٌ
غيرَ يومٍ كالذي ضاع وتاها

وإذا لم تبصر النفس المنى
في الضحى كيف تراها في مساها

هذه الجنة فاسرح في رباها
واشهد السحر زهوراً ومياهـا

واستمع للشعر من بلبلهـــا
فهو الشعر الذي ليس يضاهى

★

ما أحيلى الصيف ما أكرمهُ
ملأ الدنيا رخاءً ورفاهـا

عندما ردّ إلى الأرض الصبا
ردّ أحلامي التي الدهر طواها

كنت أشكو مثلما تشكو الضنى
فشفى آلام نفسي وشفاها

الغَـدُلسَا

تبدّلَ قلبي من ضلالته رشدا
فلا أربٌ فيه لهند ولا سعدى
ولم تخبُ نارُ الوجد فيه ولا انطوت
ولكن هيامي صار بالأنفع الأجدى
وما الزهد في شيء سوى حب غيره
أشد الورى نسكاً أشدهمُ وجدا

أحبّ سواي العيش لهواً وراحةً

وانكرته لهواً فأحببته كدّا

وما دام في الدنيا سموٌ ورفعة

فما أنا من يرضى ويقنع بالأردا

★

هو الموت ان نحيا شياهاً وديعة

وقد صار كل الناس من حولنا اسدا

وأن نكتفي بالأرض نسرح فوقها

وقد ملكوا من فوقنا البرق والرعدا

وان ينشروا في كل افقٍ بنودهم

وان لا نرى فوق السماك لنا بندا

★

تأملت ماضينا المجيد الذي انقضى
فزلزل نفسي انه انهار وانهدّا
وكيف امّحت تلك الحضارات كلّها
وصارت بلاد أنبتتها لها لحدا
وصرنا على الدنيا عيالاً وطالما
تعلّم منا أهلها البذل والرفدا
ونحن الألى كان الحرير برُودهم
على حين كان الناس ملبسهم جلدا

★

إذا الأمس لم يرجع فإن لنا غدا
نضيء به الدنيا ونملأها حمدا
وتلبسنا في الليل آفاقه سناً
وتنشرنا في الفجر انسامه ندّا

فان نفوس العرب كالشهب ، تنطوي
وتخفى ، ولكن ليس تبلى ولا تصدا

ومثل اللآلي لا يخيس جمالها
وان هي لم ترصَف ولم تنتظم عقدا

إذا اختلفت رأياً فما اختلفت هوى
أو افترقت سعياً فما افترقت قصدا

قنبلة الفناء

إذا سحقت أرضنا القنبله ° كما يسحق الحجر الخردله °
وقوّض مفعولها الراسيات فصارت غباراً له جلجله °
ودب الفنا في ذوات الجناح وغلغل في النبت فاستأصله
وفي الماشيات وفي الزاحفات عليها إلى آخر السلسله
فلا زهرَ يأرج في روضةٍ ولا ديك يصدح في مزبله
وضاع الزمان ومقياسه وأشبه آخره أوله

ولم يبق حي على سطحها وأصبح عزريل لا شغل له
فذلك خطبٌ يهول النفوس تصورُه قبل أن تحملـه
ولكن أمراً يعزّي الجميع إذا سحقت أرضنا القنبله
فلن يدع الموت حياً يلوم سواه على هذه المقتله !

تلك السنون

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة السمير

تلك السنون الغاربات ورائي ✯ سِفرٌ كتبت حروفه بدمائي
ما عشتها لأعدّها. بل عشتها ✯ لتبين في سيمائها سيمائي
سيّان ــ لو اني قنعت بعدّها ✯ عمري وعمر الصخرة الصماء
ولبذّني يوم التفاخر شاطىءٌ ✯ ما فيه غير رماله الخرساء
لاحت ليَ العلياء في آفاقها ✯ فأردتها درباً إلى العلياء

ومحبةً للخير تسري في دمي ورعايةً للضعف والضعفاء
وعبادةً للحق أين وجدته والحسنِ في الأحياء والأشياء
لتدور بعدي قصةٌ عن شاعرٍ رقصت به الدنيا جناح ضياء
نشر الطيوب على دروب حياته وسرى هوى في الطيب والأنداء
وأطل من قلب البخيل سماحة وشجاعةً في السلم والهيجاء
ومشى إلى المظلوم بارق رحمة وهوى على الظلاّم سوط بلاء
فتعز دنيا قد طوت آبائي وتهش دنيا اطلعت أبنائي

★

تلك السنون ببؤسها ونعيمها مالت بعودي وانطوت بروائي
أين الشباب الفّ أحلامي به ليس الشباب الآن لي بردائي
نفسي تحس كأنما أثقالها قد خيُرت فتخيّرت أعضائي
كم من رؤى طلعت على جنباتها ركباً من الأضواء والأشذاء

قلّبت فيها بعد لأيٍ ناظري فتعثّرت عيناي بالأشلاء
يا للضحايا . لا يرف لموتها جفنٌ ولا تُحصى مع الشهداء
ودّعت لذّات الخيال وعفتها ورضيت أن أشقى مع الحكماء
فعرفتُ مثلهم بأني موجدُ بؤسي واني خالقٌ نعمائي

★

اني أراني بعد ما كابدته كالفلك خارجةً من الأنواء
وكسائحٍ بلغ المدينة بعدما ضلّ الطريق وتاه في البيداء
شكراً لأصحابي فلولا حبهم لم اقترب من عالم اللألاء
بهمِ اقتحمت العاصفات بمركبي
وبهم عقدت على النجوم لوائي

★

شكراً لأعدائي فلولا عيثهم 		لم أدرِ انهمو من الغوغاء

نهش الأسى لما ضحكتُ قلوبهم 		عرسُ المحبة مأتمُ البغضاء

ذنبي إلى الحساد اني فتّهم 		وتركتهم يتعثرون ورائي

وخطيئتي الكبرى اليهم انهم 		قعدوا ولم اقعد على الغبراء

عفو المروءة والرجولة انني 		اخطأت حين حسبتهم نظرائي

★

شكراً لكل فتى مزجتُ بروحه 		روحي فطاب ولاؤه وولائي

من كان يحلم بالسماء فانني 		في قلب انسانٍ وجدت سمائي

ليس الجمال هو الجمال بذاته 		الحسن يوجد حين يوجد رآء

ما الكون ؟ ما في الكون لولا آدم 		إلا هباءٌ عالقاً بهباءِ

وأبو البرية ما أبان وجوده
واتمّ غايته سوى حواءِ
اني سكبت الخمر حين سكبتها
للناس ، لا للأنجم الزهراء
لا تشرب الخمرَ النجوم وان تكن
معصورةً مــن أنفس الشعراء

★

تلك السنون . عقيمها كولودهـــا
حلوٌ لديّ . كذا يشاء وفــائي
فالليلة العسراء من عمري
وعمر الدهر مثل الليلة السمحاء
يا من يقول (ظلمت نفسك فاتئد)
دعني فلستَ بحــاملٍ اعبائي
ان الحياة الروحُ بعض عطائها
وأنا ثمار الروح كل عطائي

ما العمر ؟ ان هو كالاناء وإني
بالطيّب الغالي ملأت انائي
فاذا بقيت فللجمال بقائي وإذا فنيت ففي الجمال فنائي

★

لله ما أحلى وأسنى ليلتي هي في كتاب العمر كالطغراء
يا صحبُ لن أنسى جميل صنيعكم
حتى تفارق هيكلي حوبائي (١)
وتقول عيني « قد فقدت ضيائي »
ويقول قلبي « قد فقدت رجائي »

---

(١) النفس .

امتنان

في حفلة ميلاد ديوانه الخمائل

ما لقلبي يلجّ في الخفقـانِ   لا أنا عاشق ولا أنا جـانِ
أبتغي ان أقول شيئاً فيعصاني لساني ، والسحر تحت لساني
أنا كالطائر الذي اندفق السحرُ عليه فغصّ بالألحـان
أو كفلكٍ في البحر أوفى عليها   عارضٌ بعد عارضٍ هتـان
غلبتني عواطف الصحب حتّى   صرت في حاجة إلى ترجمان

آين في موكب القريض لوائي   قد طواه بيـانهم وصـواني

ايها المادحون خمري رويـــداً   منكم الخمرة التي في دنانـي

من أنا . ما صنعت ؟ كي تعصبوا بالتاج رأسي وأي شأنٍ شاني

لا افتخار لنحلةٍ وجدتْ حقلاً فعادت من زهره بالمجاني

أنا من روضكم قطفت ازاهيري ، ومن بحركم غرفت جماني

ان اكن فرقداً فانتم سمائي   أو هزاراً فانتمُ بستانـي

أيّ بدعٍ إن اخرج الحقل للناس صنوفَ النبات في نيسان ؟

ليس لي من قصائدي غير أوزانٍ . وليست أصيلةً أوزاني

اصدق الشعر في الحياة وفيكم   ليس غير الأظلال في ديواني

★

ما هو الشعر ؟. انني مـا رأيت اثنين إلا وفيه يختصمانِ

قال قوم « وحيٌ ينزّله الله » وقوم « نفثٌ من الشيطان »
ضلَّ هذا وذا ، فما حفز الانسانَ شيءٌ للشعر كالانسان
يعشق المرء ذاته في سـواه ويحب « الانسان » في الأكوان
أنا من أجله بنيت قصوري وفرشت الدروب بالريحانِ
أنا من أجله سكبت خموري وشددت الأوتار في عيـداني
أنا من أجله رجعت من الروضة في راحتيَّ بالألـوان
واستعرت التهليل من جدول الوادي ، وضحك الرضى من الغدران
ومن الشمس في الأصائل والإصباح ذوب اللجين والعقبان
وحملتُ الجلال من أرض (سوريا) اليه والسحر من (لبنان)
نحن أهل الخيال أسعد خلق الله حتى في حـالة الحرمان
كم زهدنا بثروةٍ من نضـارٍ وقنعنا بثروةٍ من أمـاني
وانطوينا في موكب من ضيـاء وسطعنا في غمرة من دخـان

نتراءى على الصعيد صعاليك ولكن أرواحنا في العنان

انْ ظمئنا وعزّ ان نرد المـاء روانا تصوّر الغـدران

وإذا غـابت النجوم اهتدينـا

بالرؤى ، بالرجـاء ، بالايمـان

لا يعدّ الورى علينا الليـالي نحن قومٌ نعيش في الأزمـان

★

ردّ عني الكؤوس يا أيها الساقي فروحي نشوى بخمر المعاني

بالقوافي (جداولاً) من وفـاءٍ

والأغاني (خمائلاً) من حنـان

زهد النـاس حين دارت عليهـم

بالتي في كؤوسهم والقنـاني

★

أيها الليل انت أبهى من الفجر وإن كنت اسود الطيلسان
بالوجوه الزهراء ، بالأنفس السمحاء ، من يعربٍ ومن غسّان
بملوك البيان ، بالأدب الرائع ، بالمنشدين ، بالألحـان
بالغواني ، فديتهن ، فأسمى الشعر والفن في الحياة الغواني
هذه الشمس هل رأى الناس وجهاً مثلها في البهاء واللمعان
تتجلى لنا على اليسر والعسر ونمشي في نورها الفتّان
قد نسينا شعاعهـا وسناهـا
عندما أشرقت وجوه الحسان
قُسَـِمَ الدهر – أنت يا ليل شطر
من حياتي ، والعسر شطر ثان
انت عصر مستجمعٌ في سويعات ، ودنيا رحيبة في مـكان
قد تلاقت فيك القلوب على الحب تلاقي الأجفان بالأجفان

لا تقولوا دقـائق وثــوانٍ   ذاهباتٌ فالعمر هذي الثواني

★

أنا ما عشت سوف اذكر بالشكر جميل الرفاق والأخوان
وإذا مت في غدٍ فسيأتيكم ثنائي من ظلمـة الأكفـان

إسألوها

اسألوها ، أو فاسألوا مضناها   أي شيء قالت له عيناها ؟
فهو في نشوةٍ وما ذاق خمراً   نشوة الحب هذه إياها
ذاهل الطرف شارد الفكر ، لا يلمح حسناً في الارض إلا رآها
السواقي لكي تحدث عنها   والأقاحي لكي تذيع شذاها
وحفيف النسيم في مسمع الاوراق نجوى تبثّها شفتاها
يحسب الفجر قبسة من سناها   ونجوم السماء بعض حلاها

وكذاك الهوى إذا حل في الأرواح سارت في موكبٍ من رؤاها
كان ينهى عن الهوى نفسه الظمأى فأمسى يلوم من ينهاهـا
لمس الحب قلبه فهو نـارٌ تتلظى ويستلذ لظاهـا !
كل نفس لم يشرق الحب فيها هي نفس لم تدرِ ما معناهـا

أُمّ القُرَى

هذه « ملفرد (١) » قد لاحت رباها

فانسَ يا قلبُ الليـالي وأذاهـا

واشهدِ الفنّ سفوحـاً وذرىً

والهوى الصـافي أريجـاً ومياهـا

---

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه وخطب فتاة أحلامه وعاد اليها في فصل الشتاء .

ههنا أودعتُ أحلام الصبـا أفما تلمح نوراً في ثراهـا ؟
ههنا بالأمس في دارتهـا كنت مثل النسر حراً في ذراها
أتلقّى الوحي عن بلبلهـــا وهو ولهان يغني لرباهـــا
وتحس الوحيَ روحي هابطاً من سماها في ضحاها ومساها

ذهبَتْ عشرون في فرقتهـــا
ليتها فيها انقضت لا في سواهـا

كم جلسنا تحت صفصافتهـــا
اشتكي وجدي وتشكو لي هواها

والسواقي استترت إلاّ غناهـــا والروابي هجعت إلا شذاها
والصدى في الغاب لم ننبس معاً نبسةً إلا وعاهـا وحكاهـــا
نتناجى ويدي في يدهـــا فاذاً لاح خيالٌ نتلاهـى
أنا دنيا من شبابٍ وهــوى وهي كالروضة قد تمت حلاها
أحسن الأيام في العصر انقضت آه لو ينشرها من قد طواهـــا

صرت في نيويورك طيفاً شارداً
مع طيوفٍ حائراتٍ في سراها
طرحت عنها رؤاها ومضت تنشد المجد الذي فيه شقاها
كنعاجٍ عميَت أبصارها ووَهت في طلب العشب قواها
كلما جدّت لكي تدركه وجدته صار في الأرض وراها
أين في نفسي رؤى تسعدها ؟
سرقت نيويورك من نفسي رؤاها
في يدي أمري ولا أملكه ومعي ذاتي وأخشى ان أراها !
هذه «ام القرى» قف في حماها
تسترحْ نفسيَ من بعض جواها
ههنا الإنسان يلقى ذاته ههنا لا يحجب المالُ الإلها
لا تقل لي جئتها عاريةً فقرها عندي جميل كغناها

لم يزل للصيف فيها عبقٌ وسماء الصيف ما زالت سماها
لا يزال الحبّ في شلاّلها وبواديها حديثاً وانتباها
لم يجردها الشتا من وشيها بل كساها روعة فوق بهاها
فهي في ديباجةٍ من صبغه ما رآها أحدٌ إلا اشتهاها

«من اشتهى الخمر فليزرع دواليها»

خذ ما استطعت من الدنيا وأهليهـا
لكن تعلّم قليلاً كيف تعطيهـا
كن وردةً طيبُها حتى لسارقهـا
لا دمنة خبثها حتى لساقيهـا
أكان في الكون نور تستضيء به
لو السماء طوت عنا دراريهـا

أو كان في الأرض أزهار لها أرج
لو كانت الأرض لا تبدي أقاحيها
إن الطيور الدمى سيان في نظري
والوُرق ان حَبَسَت هذي أغانيها
ان كانت النفس لا تبدو محاسنها
في اليسر صار غناها من مخازيها

★

يا عابد المال قل لي هل وجدت به
روحاً تؤاسيك أو روحاً تؤاسيها
حتى م يا صاحِ تخفيه وتطمره
كأنما هو سوءات تواريها ؟
وتحرم النفس لذاتٍ لها خُلقت
ولم تصاحبك يا هذا لتؤذيها

أنظر إلى الماء ان البذل شيمته
يأتي الحقول فيرويها ويحييها

فما تعكّر الا وهو منحبس
والنفس كالماء تحكيه ويحكيها

السجن للماء يؤذيه ويفسده
والسجن للنفس يؤذيها ويضنيها

وانظر إلى النار ان الفتك عادتها
لكن عادتها الشنعاء ترديها

تفني القرى والمغاني وهي ضاحكة
لجهلها ان ما تفنيه يفنيها

أرسلت قولي تمثيلاً وتشبيهـــاً
لعلّ في القول تذكيراً وتنبيهـــا

لا شيء يُدرَك في الدنيا بلا تعبٍ
من اشتهى الخمر فليزرع دواليها

ستعودُ دنيانا أحبَّ وأجملا

لم أنس حين مشت إليّ تلومني
لما رأتني باسماً متهللاً
قالت — اتطرب والمنايا حُوّم
في الأرض كيف رمت أصابت مقتلا
انظر فقد خلت البيوت من الشباب
ولا جمال لمنزل منهم خلا

فسألتها — أو ليس من أجل العلى
وهنائنا خاضوا الوغى قالت — بلى
يا هـذه أإذا بكيت لبعـدهم
يتبسّمون ؟ أجابت الحسناء — لا
كفي الملام اذن فما أنا جاهل
ما تعلمين وكيف لي أن أجهلا
لكن بعثت الفكر في آثارهم
في البحر في الأجواء في عرض الفلا
فرأيت نور المجـد فوق بنودهم
ورأيتهم يمشون من نصر إلى ...
سدوا على الباغي المسالك كلهـا
فالموت ان ولى وان هو اقبلا

فاذا شممتِ اليوم رائحة الدماء

وطالعت عينـاك آ ثـــار البلى

فاستبشري فغداً إذا النقع انجلى

ستعود دنيانا أحبّ وأجمـلا

رؤيـا

رؤيا منام.. ربّ حلم في الكرى فيه تلوح حقائق الأشـياء
اني حلمتُ كأنما أنا سائرٌ في روضةٍ خلاّبة غناء
النور مفروش على طرقاتـهـا والعطر في النسمات والأفياء
والعشب فيها سندس متموجٌ والجو اضواءٌ على أضـواء
وإذا بصوت كالهرير يطنّ في اذني وانيابٌ تصرّ ورائي
فأدرت طرفي باحثاً متعجباً مما سمعت . ولست في بيداء

فإذا ورائي في الحديقة نابـحٌ ضاري المحاجر ضامر الأحشاء
كادت تطل عروقه من جلده وتطل معها شهوة لدمـائي
أشفقتُ يعلق نابه بردائــي فرفسته غضباً فطار حذائي
فطوى نواجذه عليه كأنمـا عضّت نواجذه على العنقاء
ومضى به لرفاقه فتهلّلـوا وتقاسموه فكان خير عشاء
لا يعجبنْ أحدٌ رآني حافياً أبلت نعالي ألسنُ السفهاء ..

رؤيا ثانية

وحلمتُ ثانيةً ، وكان الكون لم
تبرح عليه كلاكل الظلماء
أني رأيت جرادةً مطروحة
في سبخة منهوكة الأعضاء
ترنو إلى الأفق البعيد بمقلة
كلمى ، وتشتم انجم الجوزاء

فسألتها ماذا عراكِ فلم تجب
فسألتُ عنها زمرة الرفقاء
قالوا — رفيقتنا شهيدة هزئها
بنصائح العقلاء والحكماء
كانت إذا جاعت فحبة خردل
تكفي ، وان عطشت فنقطة ماء
سمعت بنهرٍ في السماء وجنةٍ
ليست لتصويحٍ ولا لفناء
العطر في أثمارها ، والشهد في
انهارها ، والسحر في الانداء
فاستنكفت ان تستمر حياتها
في الأرض جاثمة على الاقذاء

فمضت تحلّق في الفضاء ولم تزل
حتى وهت فهوت إلى الغبراء
رجعت إلى الدنيا التي خُلقت لها
لم تخلق الحشرات للأجواء
هذي حكايتها وفيها عبرة
للطائشين كهذه الحمقاء

أيلول الشاعر

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي مر بها في طريقه إلى مونتريال .

الحسن حولكَ في الوهاد وفي الذرى
فانظر ، ألست ترى الجمالَ كما أرى
« ايلول » يمشي في الحقول وفي الربى
والأرض في أيلول أحسن منظرا

شهرٌ يوزِّعُ في الطبيعة فنه
شجراً يصفِّق أو سناً متفجِّرا
فالنور سحرٌ دافق ، والماء شعر
رائق ، والعطر انفاس الثرى
لا تحسبِ الأنهار ماء راقصاً
هذي أغانيه استحالت انهرا
وانظر إلى الأشجار تخلع اخضراً
عنها وتلبس أحمراً أو أصفرا
تعرى وتُكسى في أوانٍ واحد
والفن في ما ترتديه وفي العرا
فكأنما نار هناك خفية
تنحلّ حين تهمّ أن تستشعرا

وتذوب أصباغاً كألوان الضحى
وتموج الحاناً وتسري عنبرا
صور وأطياف تلوح خفيفة
وكأنها صور نراها في الكرى
لله من « أيلول » شهرٍ ساحر
سبَقَ الشهور وان اتى متأخرا
من ذا يدبّج أو يحوك كوشْيه
أو من يصوّر مثلما قد صورا ؟
لمست أصابعه السماء ، فوجهُها
ضاحٍ ومرّ على التراب فنوّرا
رد الجلال إلى الحياة وردني
من أرض نيويورك إلى أم القرى

يا رِفـاقي

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة .

جعتُ والخبزُ وفيرٌ في وطابـي والسنا حولي وروحي في ضبابِ
وشربتُ المـاء عذباً سائغـاً وكأني لم اذق غير سرابِ

حيرةٌ ليس لها مثلٌ سوى حيرة الزورق في طاغي العبابِ

ليس بِي داءٌ ولكني امرؤ لست في أرضي ولا بين صحابي

مرّت الأعوام تتلو بعضهـــا

للورى ضحكي ولي وحدي اكتئابي

كلما استولدت نفسي أملاً مدت الدنيا له كف اغتصاب

افلتت مني حلاوات الرؤى عندما افلت من كفي شبابي

بتُ لا الألهام بابٌ مشرعٌ لي ولا الأحلام تمشي في ركابي

اشتهي الخمر وكأسي في يدي واحس الروح تعرى في ثيابي

يا رفاقي حطّموا أقداحكم ليس في دنّيَ خمرٌ لانسكابِ

جفَّ ضرع الشعر عندي وذوى ولكم عاش لمريٍ واحتلاب

★

أيها السائل عنّي مـــن أنا أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي

لغـة الفولاذ هـاضت لغـتي
لا يعيش الشدو في دنيا اصطخابِ
لست اشكو ان شكا غيري النوى
غربةُ الأجسام ليست باغترابِ
أنا كالكرمة لو لم تغـترب
ما حواها الناس خمراً في الحوابِ
أنا كالسوسن لو لم ينتقل لم يتوّج زهره رأس كعابِ
أنـا في نيويورك بالجسم
وبالروح في الشرق على تلك الهضاب
في ابتسام الفجر ، في صمت الدجى
في اسى تشرين ، في لوعة آبِ
أنا في الغوطة زهرٌ وندى أنا في «لبنان» نجوى وتصابي

ربِّ هبني لبــلادي عودةً وليكن للغير في الأخرى ثوابي

★

أيها الآتون من ذاك الحمى يا دعاة الخير يا رمز الشباب
كم هششنا وهششتم للمنى وبكيتم وبكينا في مصاب
واشتركنا في جهادٍ أو عذابِ والتقينا في حديثٍ أو كتابِ
وعرفتم وعرفنــا مثلكــم انما الحق لذي ظفرٍ ونابِ
كل أرضٍ نام عنها أهلها فهي أرضٌ لاغتصابٍ وانتهاب
انني ألمــح في أوجهكم دفقة النور على تلك الروابي
وأرى اشباح أعوامٍ مضت في كفاحٍ ونضال ووثابِ
وأرى أطيـاف عصر زاهــر
طالعٍ كالشمس من خلف الحجابِ
ليتهُ يسرعُ كي ابصره قبل ان أغدو تراباً في الترابِ

لوس انجيلوس

القصيدة التي ألقاها الشاعر في « الحفلة التكريمية » التي أقيمت على شرفه في لوس انجيلوس برعاية الجمعية السورية اللبنانية في فندق امباسادور .

أنا لست في دنيا الخيال ولا الكرى
وكأنني فيهـا لروعة مـا أرى

يا قوم هل هذي حقائق أم رؤى
وأنا ؟ أصاحٍ أم شربتُ مخدّرا
لا تعجبوا من دهشتي وتحيّري وتعجبوا ان لم اكن متحيرا
كيف التفتّ رأيت آية شاعر لبقٍ تعمد ان يجيد ليبهرا
مسحت بأصبعها الحياة جفونه فرأى المحاسن فانتقى وتخيرا
ما « لوس انجلوس » سوى أنشودة
الله غناها فجُنّ لها الورى
خلع الزمان شبابه في أرضها
فهو اخضرار في السفوح وفي الذرى
أخذت من المدن العواصم مجدها
وجلالها وحوت حلاوات القرى
هي واحة للمتعبين ، وجنة للعاشقين ، وملعب لذوي الثرا

كفّنت في نيويورك أحلام الصبا وطويتها . وحسبتها لن تُنشرا
لكنني لما لمحت زهورها شاهدت أحلامي تطل من الثرى
تتنفس الهضبات في رأد الضحى
تبراً وفي الآصال مسكاً اذفرا
فالسحر في ضحك الندى مترقرقاً
كالسحر في رقص الضياء معطرا
قل للألى وصفوا الجنان وأطنبوا
ليست جنان الخلد أعجب منظرا
كل الفصول هنا ربيع ضاحك فاذا ترى شهراً رأيت الأشهرا
ان كنت تجهل ما حكايات الهوى
فانصت لوشوشة النسيم إذا سرى
وانظر إلى الغبراء تنبت سندساً وتأمل الغدران تجري كوثرا

واشرب بعينيك الجمال فـــانه خمر بغير يد الهوى لن تعصرا
حاولت وصف جمالها فكأنني ولد بأنمله يحوش الأبحـــرا
واستنجدتْ روحي الخيال فخانني
وكبـا جواد فصـاحتي وتعثرا
أدركت تقصيري وضعفي عندمـا
أبصرت ما صنع الإله وصورا
إني شهدت الحسن غير مزيف بئس الجمال مزيفاً ومزوّرا
أحببت حتى الشوك في صحرائها وعشقت حتى نخلها المتكبرا
اللابس الورق اليبيس تنسكـاً والمشمخر إلى السماء تجبرا
هو آدم الأشجار أدركه الحيا لمـا تبدى عريه فتسـترا
ابن الصحارى قد تحضّر وارتقى يا حسنه متبدّياً متحضـرا
وبدت غياض البرتقال فأشبهت جلباب خودٍ بالنضار مزرّرا

من فوقها انتشر الضياء ملاءة من فوقه جوٌ صفا وتبلورا
وكأنما تلك القصور على الربى عقدٌ لغانية هوى وتبعثرا
لما تراءت من بعيد خلتها
سفناً وخلت الأرض بحراً أخضرا
نفض الصباح سناه في جدرانها
وأتى الدجى فرأى منائر للسرى
متألقات كابتسامات الرضى تنسيك رؤيتها الزمان الأعسرا
أنا شاعر ما لاح طيف ملاحة إلا وهلل للجمال وكبرا
وزعت نفسي في النفوس محبة لا شاكياً ألماً ولا متضجرا
ومشيت في الدنيا بقلب يابس حتى لقيت احبتي فاخضوضرا
قد كنت أحسبني كياناً ضائعاً فاذا أنا شخص يعيش مكررا
فكأنني ماء الغمام إذا انطوى في الأرض ردته نباتاً مثمرا

ما أكرم الأشجار في هذا الحمى
فيها لقاصدها البشاشة والقِرى

تقري الفقير على خصاصة حاله كرماً كما تقري الغنيَّ الموسرا
البذل ديدنها سواء جئتها متقدماً أم جئتها متأخرا
فكأنها منكم تعلمت الندى كيما تغيث الناس ان خطبٌ عرا

عصر الشبيبة

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت بكاليفورنيا .

يا ليتما رجع الزمـان الأولُ　　زمن الشباب الضاحك المتهللُ
عهد ترحلت البشاشة إذ مضى　　وأتى الأسى فأقام لا يترحـلُ
ولّى الصبا وتبددت أحلامه　　أدى به وبها قضاء حُوّلُ

حصدت انامـــله المنى فتساقطت
صرعى كما حصد السنابل منجلُ
فالروح قيثار وهت وتقطعت أوتاره ، والقلب قفرٌ ممحل
والشيب يضحك برقه في لمـّتي
هذي الضواحك يا فؤادي أنصل
أشتاق عصرك يا شبيبة مثلما يشتاق للمـاء النمير الأيّل
إذ كانت الدنيا بعيني هيكلاً فيه الإلاهات الجمال ترتـل
من كل حسناء كأن حديثها السلوى أو الوحي الطهور المنزّل
وأنا وصحبي لا نفكر في غد فكأن ليس غد ولا مستقبل
نلهو ونلعب لا نبالي ضمـّنـا كوخ حقير أم حوانا منـزل
نتوهم الدنيا لفرط غرورنـا كملت بنا وبغيرنا لا تكمـل
ونخال ان البدر يطلع في الدجى كيما يسامرنا فـلا نتململ

ونظن ان الروض ينشر عطره من أجلنا . ولنا يغني البلبل
فكأنما الأزهار سرب كواعب وكأنما هو شاعر يتغـزل
في كل منظور نراه ملاحـة وسعادة في كل ما نتخيل
لا شيء يزعج في الحياة نفوسـنا
لا طارئ لا عارض لا مشكل
فكأننا في عالم غير الـذي تتزاحم الأيدي به والأرجل
وكأننا رهط الكواكب في الفضا
مهما جرى في الأرض لا تتزلزل
النـاس في طلب المعاش وهمّنا
كأس مشعشعة وطـرْف أكحل
كم عنّفونا في الهـوى واسترسلوا
لو انهم عرفوا الهوى لم يعذلوا

ولو انهم ذاقوا كما ذقنا الرؤى شبعت نفوسهمُ وان لم يأكلوا

زعموا تبذّلنا ولم يتبذلوا ان الحقيقة كلنا متبذّل

حُرموا لذاذات الهيام وفاتنا

درك الحطام . فأينا هو أجهل ؟

اني تأملت الانام فراعني كيف الحياة بهم تجدّ وتهزل

لا يضبطون مع الصروف قيادهم

إلا كما ضبط المياه المنخُل

بينا الفتى ملء النواظر والنهى فاذا به رقم خفيّ مهمل

يا صاحبي والعمر ظل زائل ان كنت تأمل فيه أو لا تأمل

الذكْر أثمن ما اقتنيتَ وتقتني والحب أنفس ما بذلت وتبذل

قيل اغتنى زيد فليتك مثله

أنا مثله ، ان لم أقل ، أنا أفضل

الشمس لي وله . ولألاء الضحى
والنيّرات ومثلنـــا المتســوّلُ

أما النضار فإنه يا صاحبـي عرض يزول وسلعة تتنقل
مادمت في صحبي ودام وفاؤهم فأنا الغني الحق لا المتمـول
أنالست أعدل بالمناجم واحداً وأبيع من عقلوا بما لا يعقلُ

غطش الأرواح

زحزحت عن صدرها الغيم السماء
وأطل النور من كهف الشتاء

فالروابي حلل من سندس	والسواقي ثرثرات وغناء
رجع الصيف ابتساماً وشذى	فمتى يرجع للدنيا الصفاء
فأرى الفردوس في كل حمى	وأرى الناس جميعاً سعداء
زالت الحرب وولت انما	ليس للذعر من الحرب انقضاء

إن صحونا فأحاديث الوغى
في الحمى الآهل والأرض العراء

وإذا نمنا تراءت في الكرى ... صور الهول وأشباح الفناء
فهي في الأوراق حبر هائج ... وعلى «الراديو» فحيح الكهرباء
نتقي في يومنا شر غدٍ ... وإذا الصبح انطوى خفنا المساء
عجباً ! والحرب باب للردى ... وطريقٌ لدمار وعفاء
كيف يهواها بنو الناس فهل ... كرهوا في هذه الدنيا البقاء ؟
ان يكن علم الورى يُشقيهم ... يا الهي رد للناس الغباء
وليجئ طوفان نوح قبلما ... تغرق الأرض بطوفان الدماء

واعصم الأسرار واحجب كنهها
عن ذوي العلم وأرباب الذكاء

فلقد أكثرتَ أسباب الأذى ... عندما اكثرتَ فينا العلماء

كم وجدنا آفة مهلكة كلما زحزحتَ عن سر غطاء
قد ترقى الخلق لكن لم تزل شرعة الغابة شرع الأقوياء
حرّم القتل. ، ولكن عندهم أهونُ الأشياء قتل الضعفاء
لا تقل لي هكذا الله قضى انت لا تعرف أسرار القضاء
جاءني بالماء أروي ظمأي صاحب لي من صحابي الأوفياء
يا صديقي جنّب الماء فمي عطشُ الأرواح لا يروى بماء
انا لا أشتاق كاسات الطلا لا ولا اطلب مجداً أو ثراء
إنما شوقي إلى دنيا رضى وإلى عصر سلام وإخاء
لا تعدْني بالسما يا صاحبي السما عنديَ قرب الأصدقاء
وأراني الآن في أكنافهم فأنا الآن كأني في السماء !

بلادي

انِي مررت على الرياض الحاليه
وسمعت أنغـــام الطيور الشاديه
فطربت ، لكن لم يحبّ فؤاديه
كطيور أرضي أو زهور بلادي

وشربت ماء النيل شيخ الأنهرِ
فكأنني قــد ذقت مــاء الكوثر

نهر تبارك من قـديم الأعصر
عذب ، ولكن لا كماء بلادي

وقرأت أوصاف المروءة في السيَرْ
فظننتها شيئاً تلاشى وانــدثر
أو انها كالغول ليس لهـا أثر
فاذا المروءة في رجال بلادي

ورسمت يوماً صورة في خـاطري
للحسن ، إن الحسن رب الشاعر
وذهبت أنشدها فأعيي خاطري
حتى نظرت إلى بنات بلادي

قالوا : أليس الحسن في كل الدنى
فعلى م لم تمدح سواها موطنا
فأجبتهم إني احب الأحسنا
أبداً ، واحسن ما رأيت بلادي

قالوا : رأيناها فلم نر طيبا
ولّى صباها والجمال مع الصبا
فأجبتهم : لتكن بلادي سبسباً
قفراً ، فلست أحب غير بلادي

قالوا : تأمّل أي حال حالها
صدّع القضاء صروحها فأمالها

ستموت .. ان الدهر شاء زوالها
أتموت ؟ كلا لن تموت بلادي

هي كالغدير إذا أتى فصل الشتا
فقد الحرير وصار يحكي الميتا
أو كالهزار حبسته .. لكن متى
يَعُدِ الربيع يَعُدْ إلى الانشاد

الكوكب الوضاح يبقى كوكبا
ولئن تستّر بالدجى وتنقّبا
ليس الضباب بسالبٍ حسنَ الربى
والبؤس لا يمحو جمال بلادي

لا عزّ إلا بالشباب الراقي
الناهض العزمات والأخلاق
الثائر المتفجر الدفّاق
لولاه لم تشمخ جبال بلادي

رَوْعة العيد

يا شاعر الحسن هذي روعة العيد
فاستنجد الوحي واهتف بالأناشيدِ
هذا النعيم الذي قد كنت تنشده
لا تلهُ عنه بشيءٍ غير موجودِ
محاسن الصيف في سهلٍ وفي جبلٍ
ونشوة الصيف حتى في الجلاميدِ

ولست تبصر وجهاً غير مؤتلق
ولست تسمع إلاّ صوت غرّيـدِ
قم حدّث الناس عن لبنان كيف نجا
من الطغاة العتاة البيض والسود
وكيف هشّت دمشق بعد محنتهـا
واسترجعت كل مسلوب ومفقـود

★

فاليوم لا أجنبي يستبدّ بنـا
ويستخف بنا استخفاف عربيد
يا أرز صفق ، ويا أبناءه ابتهجوا
قد أصبح السرب في أمنٍ من السِّيد

★

ما بلبلٌ كان مسجوناً فـأطلقـه
سجّانُه ، بعد تعذيب وتنكيدِ
فراح يطوي الفضاء الرحب منطلقـاً
إلى الربى والسواقي والأمـاليدِ
إلى المروج يصلّي في مسارحهـا
إلى الكروم يغـنّي للعنـاقيدِ
مني بأسعد نفساً قـد نزلت على
قومي الصناديد أبنـاء الصناديد
سماء لبنان بِشرٌ في ملامحهـم
وفجره في ثغور الخرّد الغيـد
ان تسكنوا الطود صار الطود قبلتنـا
أو تهبطوا البيد لم نعشق سوى البيدِ

يا أنشودتي انطلقي

أنشودة في ضميري كم أواريها وما شفائي الا ان أغنّيها
ولّى الشتاء ونفسي في كآبتها
واستضحك الصيف الا في نواحيها
كأنها زهرة في الظل نابتةٌ لا نورَ يغمرها ، لا ماء يسقيها
كأنها الحرب في قلبي زلازلها وبعض أهلي أقوام تعانيها
حكاية أتقلّى حين اسمعها ويأكل الحزن قلبي حين أرويها

وارحمتاه . لأوربا فما فتكت
أفعى بأفعى كأهليها بأهليهــا
لم يبق غير الضواري في خلائقها
ومن حضارتها الا مخازيهــا
كانت تعد الدواهي في مصانعها
لغيرها فأصابتها دواهيهـــا
وكل طابخ سم سوف يأكله
وكل حافر بئرٍ واقع فيهـا
لو دام أيمانها لم تنطلق سقَرَ
بذُوْرِها والأفاعي في مغانيها
لكن اكبّت على الآلات تعبدهـا
وتستعين بهـا من دون باريهـا
فصار مالكها عبداً لسلطتها
وصار كل ضعيف من أضاحيها
وصار انسانها للحلب آونـــة
والذبح ، مثل المواشي في مراعيهـا
يا نفس سَرّي ، ويا أنشودتي انطلقي
من علّم الصمت ان الصمت يؤذيهـا

أيشرق الأفق لم يُطلع كواكبـــه
وتجمل الأرض لم تخرج أقاحيهـــا
اليوم يوم القوافي تهتفين بهـــا لا يشرب الناس خمراً لم تصبّيها
هذا هو العيد قد لاحت مواكبـــه
يا قلب هلّل لها ، يا شِعر حيّيها

في قلبك الله

مرت ليالٍ وقلبي حائر قلق
كالفلك في النهر هاج النوء مجراهُ
أو كالمسافر في قفر على ظمأ
أضنى المسير مطاياه وأضناهُ
لا أدرك الأمر أهواه وأطلبه
وأبلغ الأمر نفسي ليس تهواهُ
عجبت من قائلٍ اني نسيتكمُ
من كان في القلب كيف القلب ينساهُ

ان كنت بالأمس لم أهبط مرابعكم

فالطير يقعـد موثوقـاً جناحاه

فلا يقرّبه شوق إلى نهـر وليس تنقله في الروض عيناه

وليس يشكو ولا يبكي مخـافة ان

تؤذي مسامع من يهوى شكاواه

إني لأعجب منا كيف تخدعنا عن الحقائق أمثالٌ واشباهُ

إذا بنى رجل قصراً وزخرفـه سقنا اليه التهاني وامتدحناه

وما بنى قصره إلا ليحجب عن أبصارنا في زواياه خطـاياه

ونمدح المرء من خزٍّ ملابسه وذلك الخز لم تنسجه كفـّـاه

وان أتانا أخو مالٍ يكاثرنـا بالتبر تيهـاً رجَوناه وخفناه

وقد يكون نضـار في خزائنـه

دمـاً سفكناه أو جهداً بذلنـاه

لا تحسب المجد ما عيناك ابصرتا
أو ما ملكتَ هو السلطان والجاه
المال مولاك ما أمسكته طمعاً
فانفقه في الخير تصبح أنت مولاه
ما دام قلبك فيه رحمة لأخ
عانٍ ، فانت امرؤ في قلبك الله

الرأيُ الصَّوابْ

يا نفس هـذا منزل الأحبـاب
فانسي عذابك في النوى وعـذابي
وتهللي كالفجر في هذا الحمى وتألقي كالخمر في الأكوابِ
ولتمسح البشرى دموعك مثلما يمحو الصباح ندى عن الأعشابِ
واسترجعي عهد البشـاشة والرضى
فالدهر عاد تضاحكـاً وتصابـي

أنا بين أصحابي الذين أحبهم ... ما أجمل الدنيا مع الأصحابِ
قد كنت مثل الطائر المحبوس في ... قفص ، ومثل النجم خلف ضباب
يمتد في جنح الظلام تأوّهـي ... ويطول في اذن الزمان عتابي
وأهز أقلامي فترشح حـدة ... وأسىً ، ويندى بالدموع كتابي
حتى لقيتكم فبتّ كـأنني ... لمسرتي ، استرجعت عصر شبابي
ليس التعبد ان تبيت على الطوى ... وتروح في خرق من الأثوابِ
لكنه انقاذ نفس معذبٍ ... من ربقة الآلام والأوصابِ
ليس التعبد عزلة وتنسكاً ... في الدير أو في القفر أو في الغاب
لكنه ضبطُ الهوى في عالم ... فيه الغواية جمة الأسبابِ
وحبائل الشيطان في جنباته ... والمال فيه أعظم الاربابِ
هذا هو الرأي الصواب وغيره ... مهما حلا للناس غير صوابِ

ليس السر في السنوات

قل للذي أحصى السنين مفاخراً يا صاح ليس السر في السنواتِ
لكنه في المرء كيف يعيشها في يقظة أم في عميق سباتِ
قم عدّ آلاف السنين على الحصى
أتعدّ شبه فضيلة لحصاةِ ؟
خير من الفلوات لا حدّ لها روض أغنّ يقاس بالخطواتِ
كن زهرةً أو نغمة في زهرة فالمجد للأزهار والنغماتِ

تمشي الشهور على الورود ضحوكة

وتنـــام في الأشواك مكتئبـــاتِ

وتموت ذي للعقم قبل مماتهـــا — وتعيش تلك الدهرَ في ساعاتِ

تُحصى على أهل الحياة دقائق — والدهر لا يُحصى على الأمواتِ

العمر — إلا بالمآثر — فارغ — كالبيت مهجوراً وكالمومات

جعلَ السنين مجيدة وجميلةً — ما في مطاويها من الحسنات

إليك عني

كم تستثير بي الصبابة والهوى
عني اليك ، فأن قلبي من حجرْ
مالي وللحسناء أغري مهجتي
بوصالها والشيب قد وخط الشَعَر
كم « بالجزيرة » لو يتاح لي الهوى
من غادة تحكي بطلعتها القمر

ولكم بها من جدول وحديقة

من صنعة الرحمن لا صنع البشر

فيها اللواتي إن رمت الحاظها

شلّت يد الرامي وقطّعت الوتر

قد كان لي في كل خود مطمع

ولكل رائعة المحاسن بي وطر

أيام شعري كالدجى محلولك

أيام عيشي لا يخالطه كدر

★

ذرني وأشجاني ، وجسمي ، والضنى

ويدي ، وأقلامي ، وطرفي ، والسهر

أأبيت ألهو والهموم تحيط بي
وأنام عن قومي ، وقومي في خطر
صوت المصفق موعدٌ مـا بيننا
ماذا أقول لهم .، إذا الديك استحر

دُودَةٌ وبُلبل

نظرت دودةٌ تدبّ على الأرض إلى بلبلٍ يطير ويصدحْ
فمضت تشتكي إلى الورَق الساقط في الحقل — انها لم تُجنّحْ
فأتت نملة اليهْا وقالت اقنعي واسكتي فما لك اصلح
ما تمنيتِ إذ تمنيتِ إلا ان تصيري طيراً يُصاد ويذبح
فالزمي الارض فهي أحنى على الدود
وخلي الكلام فالصمت أريح

هدية العيد

أي شيء في العيد أهدي اليكِ
يا ملاكي ، وكل شيء لديك
أسواراً ؟ أم دملجاً من نضار ؟
لا أحب القيود في معصميك
أم خموراً ؟ وليس في الارض خمر
كالتي تسكبين من لحظيك

أم ورودا ً؟ والورد أجمله عندي
الذي قد نشقتُ من خدّيك
أم عقيقا ً كمهجتي يتلظى
والعقيق الثمين في شفتيك
ليس عندي شيء أعز من الروح
وروحي مرهونة في يديك

إن الحياة قصيدة !

ما للقبور كأنما لا ساكن   فيها وقد حوت العصور الماضيه
طوت الملايينَ الكثيرة قبلنا   ولسوف تطوينا وتبقى خاليه
أين المها وعيونها وفتونها   أين الجبابر والملوك العاتيه
زالوا من الدنيا كأنْ لم يولدوا   سحقتهم كف القضاء القاسيه
ان الحياة قصيدة أعمارنا   أبياتها ، والموت فيها القافيه
متّع لحاظك في النجوم وحسنها   فلسوف تمضي والكواكب باقيه

ليالي بوسطن

ان اغبْ يا صحب عن ذاك الحمى
لم أزل معْكم كما أنتم معـــي

فاذا الأنجم شعّت في السما   قلت هذي أنتمُ في مجمعِ
وإذا الشادي بلحنٍ رنمـا   خلته أصواتكم في مسمعي

★

آه لو يغني خيال عن عيانٍ كان كالمنهل ، رسم المنهلِ
ولعاش المرء في دنيا الأماني يقطع الدنيـا ولم ينتقـل
وسلونا عن مـكان بمكان ولأغنى آخرٌ عن أوّل

★

ولنابتْ عن نجوم نيّـرات صور مطبوعةٌ في الـورق
واكتفينا بخرير الساقيـات في الدجى عن مائها المندفق

★

يا ليالي « بوسطن » هل ترجعينْ
فـأرى صحبي الـكرام البرَرَه
ويزول الهم عن قلبي الحزين بالوجوه المشرقات النضِـره

إنه يسألني في كل حـــين   أين تلك الجنة المختصرة

★

ذهبت يا قلب إلا ذكريـات   كبروق ضحكت في الغسق
تأنس العين بها في الظلمـات   وهي تفنى في رحاب الأفق
يا ليالي بوسطن ليت الحيـــاة   عدلتْ فينـا فلم نفترق

صَوتٌ مِن سُورِيَة

صوت سوريا الجميله ۝ صوتك العذب الرخيم ۝
ضاحك مثل الخميله ۝ لاعب مثل النسيم ۝

★

يا أخا الورقاء غنِّ ۝ فالغنا شعر السماء ۝
فهو في الغصن تثنٍّ ۝ وهو في النجم بهاء ۝
صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم

ضاحك مثل الخميله

لاعبٌ مثل النسيمْ

★

غنّنا حتى نميلا مثل أغصان الاراكْ

كم بنا صباً عليلا لا يداويه سواك

صوت سوريا الجميله

صوتك العذب الرخيم

ضاحك مثل الخميله

لاعبٌ مثل النسيم

★

أيها المحزون هيّا واسمع اليوم الكنارْ

ساجعاً سجعاً شجيا ذاكراً تلك الديار

صوت سوريا الجميله

صوتك العذب الرخيم

ضاحك مثل الخميله

لاعبٌ مثل النسيم

★

ليتنا كنا طيوراً حول عينٍ أو غديرْ

نرشف الماء نميراً نلقط الحب النثيرْ

صوت سوريا الجميله

صوتك العذب الرخيم

ضاحك مثل الخميله

لاعب مثل النسيمْ

★

موطن نهوى سهوله   مثلما نهوى رباه
الصبا فيه عليله   تتداوى بنداه

★

كم بدا البدر ضحوكا   راقصاً فوق الكروم
واستوى الليل مليكا   لابساً تاج النجوم

صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميله
لاعبٌ مثل النسيم

حكمة المتنبي

جلست أناجي روح أحمد في الدجى
وللهمّ حولي كالظلام سدول
أفكر في الدنيا وأبحث في الورى
وعينيَ ما بين النجوم تجول
طويلاً ، إلى ان نال من خاطري الونى
وران على طرفي الكليل ذبول

فأطرقت أمشي في سطور كتابهِ
بطرفي ، فألفيت السطور تقول
« سوى وجع الحساد داوِ فـانه
إذا حلَّ في قلب فليس يحول »
« فلا تطمعنْ من حاسد في مودة
وان كنت تبديهـا له وتنيل ».

أنفس العُشّاق

بالأمس بادرني صديق حائر يستفهم
أجهنمٌ نارٌ ؟ كما زعم الهداة وعلّموا ؟
أم زمهرير قارس قاسٍ وكون مظلمُ ؟
فأجبته ، ما الزمهرير وما اللظى المتضرم
بجهنم !.. لكننا أنْ لا تحب جهنم
يا صاحبي ان الحواء هو العذاب الأعظم

القلب إلاّ بالمحبة منزل متردّم
هي للجراحة مرهم ، هي للسعادة سلّم
هي في النجوم تألقٌ ، هي في الحياة ترنم
هي أنفس العشاق في غسَق الدجى تتبسّم

روحي فداك

لما رأيت الورد في خديكِ
وشقائق النعمان في شفتيكِ
وعلى جبينك مثل قطرات الندى
والنرجس الوسنان في عينيك
ونشقت من فوديكِ ندّاً عاطراً
لما مشت كفّاكِ في فوديكِ

ورأيت رأسكِ بالأقاح متوّجاً
والفُلّ طاقات على نهديكِ
وسمعت حولك همس نسمات الصبا
عند الصباح تهزّ من عطفيك
أيقنتُ انكِ جنة خلابــة
فحننت من بعد المشيب اليك
ولذاك قد صيّرت قلبي نحلة
يا جنتي حتى يحوم عليكِ
روحي فداؤك انها لو لم تكن
في راحتيكِ هوت على قدميك ..

لَوْ

لو أنني يا هند بدر السما نزلتُ من أفقي إلى مخدعك
وصرت عقداً لكِ أو خاتماً في جيدك الناصع أو اصبعك
أو بلبل الروض وما لذّ لي الانشاد ان لم يكُ في مسمعك

ولو أكون الأرج الذاكي
لما هجرت الروض لولاكِ
وما حواني غير مغناكِ

ولم أفُح حتى تكوني معي

★

فيك وفي الوردة سر الصبا وفي الصبا سر الهوى والجمال°

فان تريني واجماً باهتـــاً حيالها أخشى عليهـا الزوال

فانني شاهدت طيف الردى ينسل كالسارق بين الظـلال

ولاح لي في الورق النـامي

منطرحاً في الأرض قـدّامي

أشباح آمـالي وأحـلامي

أحلام مَن ؟ أحلام مضناك

مُقلتان

رأيت في عينيك سحر الهوى
مندفقاً كالنور من نجمتين
فبتّ لا أقوى على دفعه
مَن رَدّ عنه عارضاً باليدين
يا جنة الحب ودنيا المنى
ما خِلتني ألقاك في مقلتين

فردوسي

بنيت فردوسي وزخرفته
حتى إذا ما تم ضيّعته
أجريت في أنهاره كوثراً
فذاقه الناس وما ذقته

ثقيل

وثقيلٍ كأنه برد كانو	ن قليل الحياء جمّ الكلامِ
ليس يدري بأنه ليس يدري	ان بعض الأنام كالانعامِ
يتمنى يا بُعد ما يتمنى	لو جرى ذكره على الاقلام
والذي أطمع اللئيم وأغراه	بسبّ الكرام حلمُ الكرام
والذي صيّر الكريم حليماً	كرهه ان يُعدّ صنو الطغام
منع البومَ ان يصاد ويرمى	كونه غير صالح للطعامِ

وَداع

ذهب الربيع ففي الخمائل وحشة
مثل الكآبة من فراقك فينا
لو دمت لم تحزن عليه قلوبنا
ولئن أضعنا الورد والنسرينا
فلقد وجدنا في خلالك زهره
المفترّ والماءَ الذي يروينا

ونسيمه الساري كأنفاس الرضى
وشعاعه يغشى المروج فتونا
حزتِ المحاسن في الربيع وفقته
إذ ليس عندك عوسج يدمينا

*

يا أشهراً مرت سراعاً كالمنى
لو استطيع جعلتكنّ سنينا
وأمرت أن يقف الزمان عن السرى
كيلا نمر بساعة تبكينا
ونمد أيدينا فترجع لم تصب
وتعود فوق قلوبنا أيدينا

خوفاً عليها أن تساقط حسرة
أو ان تفيض لواعجاً وشجونا
قد كنت خلت الدهر حطّم قوسه
حتى رأيت سهامه تصمينا
فكأنما قد ساءه وأمضّه
أنا تمتعنا بقربك حينا

Title [redacted]

Author [redacted]

Accession No. [redacted]

Call No. [redacted]

Borrower's No.	Issue Date	Borrower's No.	Issue Date

تحية الشعر

قالها في بعض الشعراء وأهل
الفكر في الوطن والمهجر .

في يوبيل شكيب أرسلان

امنحيني يا نجومُ الألقـا وهبيني يا زهور العبقـا
ابعث الشعر إلى الدنيا هوى وضياءً وغناءً شيّقـا
فاذا خامر نفسـاً طربت وإذا لامس قلبـاً خفقـا
وإذا يُتلى لمشتـاق سـلا وإذا يُروى لباكٍ صفّقـا
فمن الشعر لقوم حكمـةٌ ومن الشعر لأقوامٍ رُقى

أنا لا أستعذب الشعر إذا لم أجده روضة أو أفقا

★

حبّذا ليلتنا من ليلة يُكرم الاحرارُ حرّاً لبقا
شاعر ما ان جرى في حلبة أبداً الاّ وكان الأسبقا
كاتب لا بل سحاب هتنٌ
كم روى الارواح خمراً وسقى
قل لمن حاول ان يلحقه ان هذا عارضٌ لن يُلحقا
قلم يهمي على أمته رحمةً إذ تمطر الدنيا شقا
وإذا ما أوذيتْ أو ظُلمتْ أمطر الدنيا شواظاً محرقا
ودوّتْ زعقاتُه كابن الشرى
رِيع في عرّيسه أو ضُويقا
هو للحقّ إلى أن ينجلي وعلى الباطل حتى يزهقا

انفق العمر على خدمتها آه ما أغلى الذي قد انفقا

قل لمن أرجف كي يقلقه في حماه انه لن يقلقا

ولمن حاول أن يُغضبه انه اعلى واسمى خلقا

أأمير تتقيه دولةٌ يتوقى كاشحاً مختلقا ؟

وهو مثل الشمس لن يبلغها صاعدٌ مهما تعالى وارتقى

ان يوبيلك يوبيل النُّهى هنّأت بغداد فيه جلّقا

أخو الورقاء

رسالة إلى الشاعر القروي ألقيت في الحفلة الوداعية التي أقيمت في ولاية تكساس وقد تعذر على الشاعر حضورها.

لله من عبث القضاء وسخره   بالناس والحالات والاشياء
كم درة في التاج الفٌ مثلها   في القاع لم تخرج من الظلماء
ولكم تعثّر بالغبار سميذعٌ   وانداحت الأطواد للجبناء

ولكم جنى علمٌ على اربابه		وجنى الهناء جماعة الجهلاء
أرأيت اعجب حالة من حالنا		ازف الرحيل ولم نفز بلقاء !
عاشت شهوراً بالرجاء قلوبنا		وبلحظةٍ أمست بغير رجاء
ماتت أمانينا الحسانُ اجنّةً		لم تكتحل أجفانها بضيـاء
فكأنها برقٌ تألق وانطوى		في الليل لم تلمحه مقلة راءِ
وكأننا كنا نحلّق في القضـا		صُعداً لنلمس منكب الجوزاءِ
حتى إذا حان الوصول .. رمت بنا
نكبـاء عـاتيةٌ إلى الغـبـراءِ !
وكأن « تكسس » وهي في هذا الحمى
صقعٌ « كسانبول » قصيٌّ ناءِ
طوبى لها ، ان كان يعلم أهلها		ان النزيل بها اخو الورقاءِ
كانت مسارح « للرعاة » فأصبحت
لمـا اتاهـا ، كعبـة الشعراءِ

هو بلبل عبَق النبوّة في اغا   نيه وفيهـا نكهة الصهباء

وجلال لبنانٍ وقد غمر المسا   هضباتهِ ، وانسال في الأوداء

غنّى ، ففي النسمات والاوراق وال
غـدران أعراس بـلا ضوضاء

وبكى ، فشاع الحزن في الازهـار
والأظـلال والألوان والأضواء

هو نفحةٌ قدسية هبطت إلى   هذا الثرى من عالم اللألاءِ

لو عاد للدنيا البراق وحزتـه   ما كان إلا نحوه إسرائي

أشكو البعاد وليس لي أن أشتكي
فسماؤه موصولـة بسمائـي

ما حال بين نفوسنا — ما حال بين جسومنا من أجبُلٍ وفضاءِ

فلكم نظرت إلى الربى فلمحتـــه
في الاقحوان الحيّر المعطــاءِ
وسمعت ساقيةً تئنّ فخلتني لبكائه أوطـــانه اصغائي
وإذا تلوح لي الجبال ذكرته فالشاعرُ القرويّ طود ابـاءِ
من كان يحلم بالغدير فانــه يبدو له في كل قطرة ماءِ
ان كنت لم أره فقـد شاهدتــه
بعيون أصحابي ، وذاك عزائي

★

أفتى القوافي كالشواظ على العدى
وعلى قلوب الصحب كالأنـداءِ
سارت اليـك تحيتي ولو انـني
خُيِّرت ، كنت تحيتي ودعائي

شاعر الدير

ألقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة

عادت رياض القوافي وهي حـــالية
وكان صوّح فيهـا الزهر والعشُب
واسترجعت دولة الاقلام نخوتهـا
وكان أدركهـا الإعياء والتعب
بشاعر عبقـري في قصـــائده
عطر وخمر وسحر رائق عجب

فاشرب بروحك خمراً كلها أرَج

وانشقْ بروحك عطراً كلّه طرب

وامرح بدنيا جمال من تصوّره فإنها السحر الا انه أدب

والبس مطارف حاكتها يراعته

تبقى عليك ويبلى الخزّ والقصب

كم درة يتمنى البحر لو نُسبت اليه باتت إلى مسعود تنتسب

لو أنها فيه لم تَهتجْ غواربه لكنها لسواه فهو يصطحب

فلا جناح إذا ما قال شاعرنا

للبحر – يا بحرُ أغلى الدر ما أهب !

★

يا شاعر « الدير » (١) كم هلهلتَ قافية

غنى الرواة بها واختالت الكتب

---

(١) دير القمر بلدة الشاعر سماحة .

طلاقة الفجر فيها وهو منبثق ورقة الماء فيها وهو منسكب

مرت على هضبات الدير هائمة
فكاد يورق فيها الصخر والحطب

إذا تساقى الندامى الراح صافية
كانت قوافيك في الراح التي شربوا

فأنت في ألسن الاشياخ ان نطقوا
وانت في همم الشبان ان وثبوا

★

مسعود عيدك والشهر الجميل (١) معاً
قد اقبلا وانا في الارض اضطرب

يحز نفسي اني اليوم مبتعد
وانت من حولك الانصار والصحب

---

(١) شهر أيار ١٩٣٩ .

البيد « والناس » مـا بيني وبينكم
ليت المهامه تُطوى لي فأقترب
ما كان اسعدني لو كنت بينكم
كيما يؤدي لساني بعض ما يجب
لصاحبٍ انا تيّاهٌ بصحبته وشاعر طالما تاهت به العرب

لا يُدركُ الهرمُ النجوم

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر
المرحوم مسعود سماحة .

يا شاعراً حلوَ المودّةِ في الحضور وفي الغيابْ
شهْدٌ ولاؤك والأنام ولاؤهم شـهدٌ وصابْ
انا ان شكوت اليكَ منك وسال في كتبي العتابْ

فحكايتي كحكاية الظمآن في قفرٍ يبابْ
لم يروِه لمع السراب فراح يستسقي السحابْ
فهمى فكان الخير فيه للأباطح والهضابْ
« مسعود » أهونْ بالمشيب فما امّحى الا الخضابْ
ماذا عليكَ من الثلوجِ وفي ضلوعك حرّ آب
الكأس أجمل في النواظر إذ يرصّعها الحبابْ
ان شابَ منك المفرقان فما أظنّ القلبَ شابْ
لا تزعمنّ له المتابَ فأنّ توبته كِذابْ
ما زال يخفق بالهوى ، ويفيض بالسحر العجابْ
ويُريك دنيا لا تحدّ ومن ورائك الفَ بابْ
دنيا من اللذّات والأفراح في دنيا عذابْ

ويريك جنّاتِ الجمال وأنت في الطللِ الخرابْ

★

أفتى القوافي الشاديات كأنها أطيارُ غابْ

إن قيل انك صرت شيخاً قلْ : أجل، شيخُ الشباب

أترى إذا العنوان ضاع يضيع مضمون الكتابْ

السيف ليس يعيبه مشي الخلوقة في القرابْ

والخمر خمرٌ في اناءٍ من لجين أو ترابْ

وحياة مثلك ليس تدخل في قياسٍ أو حسابْ

فغدٌ زمانك مثل أمس وان مضى عصر الشبابْ

لا يدرك الهرم النجومَ وانت في الدنيا شهابْ

وإذا يعاب على المشيب فتى فمن ذا لا يعابْ

أو كان يُمدح بالسواد فمن ترى مدحَ الغراب

★

يا نفحةً مـن شاعرٍ أرجَ الكتاب بها وطابْ

الفجر أهدى لي السنا والروض اهدى لي الملابْ

بنتُ القَفْرْ

أرسل الشاعر مسعود سماحة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكمية من البن الفاخر .

أدِرْهــا قهوةً كعصيرِ بكرِ
تجلّت في الكؤوس بكف بكرِ

كأنّ المسك يغلي حين تغلي ويجري في الأواني حين تجري

تعيد إلى الضعيف قوىً وتهدي

اليه غبطةً وصفاء فكرِ

تَعشّقها الشعوب فكل شعبٍ اعدّ لها الثغورَ وكل قطرِ

تُلوّحَ حبّها في كل كوخٍ ولاح حبابها في كل قصرِ

يضوع عبيرها برمال نجدٍ ويعبق عطرها بقصور مصرِ

تمشّى عنبراً في كل انفٍ وتنزل قرقفاً في كل ثغرِ

ويُزري طعمها حلواً ومراً بما في الارض من حلو ومرِّ

★

وسمراء إذا زارت صباحاً

أحبّ إليّ من بيضٍ وسمرِ

يحوك لها البخار رداء ندٍ ويكسوها الحباب وشاح درِّ

كسرت الدن من عهدٍ بعيدٍ فامستْ بعد خمرِ الدنّ خمري

فان حلّت قواك جيوش ضعفٍ وهالكَ عبء همٍّ مسبطرِّ

عليكَ بقهوةٍ رقت وراقت كشعرك لا يجارى أو كشعري

(مسعود)

فأجابهُ بالقصيدة التالية :

شربناهـا على سرّ القوافي   وسرّ الشاعرِ السمح الأبرّ
سقانا قهوتين « بغير منّ »   عصير شجيرةٍ وعصير فكر
فنحن اثنان سكرانٌ لحينٍ   على أمنٍ ، وسكرانٌ لدهر
فمن أمسى يهيم ببنت قصرٍ   فانّا هائمون ببنت قفر
إذا حضرتْ فذلك يوم سعدٍ   وان غابت فذلك يوم قهر
لهـا من ذاتهـا سترٌ رقيقٌ   كما صبغ الحياء جبين بكر
إذا دارت على الجلاّس هشّوا
كأن كؤوسها اخبـار نصر
ونرشفها فنرشف ريق خودٍ   وننشقها فننشق ريحَ عطر
ولا نخشى من الحكام حداً   وعند الله لم نوصمْ بوزر
فما في شربها اثمٌ ونكرٌ   وشرب الخمر نكرٌ أيّ نكر

وليست تستخفّ أخا وقارٍ وبنت الدَنّ بالأحلام تزري

وتحفظ سر صاحبها مصوناً وبنت الكرم تفضح كل سرّ

وللصهباء أوقاتٌ ، وهذي شراب الناس في حرّ وقرّ

وتصلح ان يطاف بها مساء وتحسن ان تكون شراب ظهرِ

فلو عرفت مزاياها الغواني لعُلّق حبّها في كل نحرِ

كأن حبوبها خضراً وصفراً فصوص زمرّدٍ وشذور تبرِ

كأن الجن قد نفثت رؤاها على أوراقها في ضوء فجرِ

ألست ترى اليها كيف تطغى وكيف تثور ان مسّت بجمرِ

كأن نخيل مصر قد حساها والا ما اهتزاز نخيل مصر ؟

جلوت بها من الأكدار ذهني

كما اني غسلت هموم صدري

وما هي قهوة تُطهى وتحسى ولكن نفحةٌ من روح حرّ

حوى في شعره عبث ابن هاني وزاد عليه فلسفة المعرّي
فيا لك شاعراً لبقاً لعوباً كأن يراعه انبوب سحرِ
يفيض سلاسةً في كل لفظٍ ويجري رقةً في كل سطرِ
حوت دار «السمير» هديتيه وتحوي هذه الأوراق شكري

تلك المنازل

ألقاها في حفلة تكريم الاستاذ كمال جنبلاط

تلك المنازل .. كيف حال مقيمها
انّا قنعنا بعدها .. برسومها
تمشي على صور الطيور لحاظنا
نشوى ، كمن يصغي إلى ترنيمها
ونكاد نعشق في الازاهير الدمى
ازهارها ونحس نفح شميمها

نشتاقها في بؤسنا ونعيمنا
ونحبها ، في بؤسها ونعيمها
لولا الخيال يعين أنفسنا لما
سكنتْ ولم يهدأ صراخ كلومها
ولكان شهد الارض في أفواهنا
وهو اللذيذ أمرّ من زقّومها
يا حاملاً في نفسه وحديثه
أحلام أرزتها ولطف نسيمها
حدّث بنيها شيخهم وفتاهمو
عن ليث غابتها وظبي صريمها
خبّرهمُ ان الكواكب لم تزل
تحنو على العشاق بين كرومها

ما زال بلبلها يغني للربى
والسحر تنفثه لواحظ ريمها
والريح تلتقط الشذى وتذيعه
من شِيحها طوراً ومن قيصومها
وهضابها يلبسن عسجد شمسها
حيناً وأحياناً لُجينَ نجومها
والفجر يرقص في السهول وفي الذرى
متمهلاً فتهشّ بعد وجومها
ان بُدّلَت منها التخوم فانها
ما بُدلت والله غير تخومها
حدّثهُم عن ليلها ونجومها
وعن الهوى في ليلها ونجومها

وعن الشطوط الحالمات بعودة
للغائبين ، ورجعة لنعيمها
وعن الروابي الشاخصات إلى السما
العالقات رؤوسها بغيومها
فكأنها سحب هوت من حالق
ورست على وجه الثرى بهمومها
وعن الحياة جميلها وقبيحها
وعن النفوس صحيحها وسقيمها
وعن الألى ملكوا فلم يتورعوا
عن سلب أعزلها وظلم يتيمها
وعن الثعابين التي في أرضها
وعن الذئاب العصل خلف تخومها

الجاهلية ، آه من أصنامها
بوركتَ يا من جدّ في تحطيمها

والطائفية أنت أول معول
في سورها ، ثابرْ على تهديمها

حتى تعود وواحد اقنومها
ويحلّ روح الله في أقنومها

قل للشبيبة ان تبين وجودها
وتُعزّ أنفسها بهونِ جسومها

كم ذا تشع ولا تضيء علومها
سرج الظلام اذن جليلُ علومها

يا واحداً منها يحمّل نفسه
آلام عانيها وليل سليمها

ان اكرمتك نفوسنا في ليلة
فلكَم قضيت العمر في تكريمها

دمعة الشاعر

مراث يتفجع فيها صاحب الديوان على
الراحلين من زملائه الشعراء .

الشاعر

إلى روح خليل مطران

عندما أبدع هذا الكون ربُّ العالمينـــا
ورأى كل الذي فيه جميـلاً وثميناً
خلق الشاعر .....
كي يخلق للنـــاس عيونا
تُبصر الحسن .....
وتهواه حراكـاً وسكونـا

وزماناً ، ومكاناً ، وشخوصاً وشؤونـــا
فارتقى الخلق .....
وكانوا قبـله لا يرتقونـــا
واستمر الحسن في الدنيا
ودام الحب فينـــا

★

انه روح كريم لبِس الطينَ المهينـا
ونبي بهر الخلق ومـا أعلن دينـــا
يلمح النجم خفياً ، ويرى العطر دفينـــا
ويرينا الطُّهر حتى في الجناة الآثمينا
ويحس الفرحَ الأسمى جريحاً أو طعينا

كلما شاعت دماه أملا في البائسينـا

★

مَن سواه ثائر فيه وقـار الناسكينـا

من سواه عـابد فيه جنون الثـائرينا

من سواه عـانقَ الله يقينا لا ظنونا

من ترى إلاه يحيـا نغماتٍ ولحونـا

من ترى إلاه يفني ذاته ...

في الآخرينا

★

لو أبى الله علينا وعليــه ان يكونـا

عادت الأرض وهاداً شاحباتٍ وحزونا
ترتدي الوحشة والهول ضباباً ودجونا
وأقاحيها هشيماً لا أريجاً وفتونا
وسواقيها سراباً هازئاً بالظامئينا
وشواديها دمى خرساء تؤذي الناظرينا
واستفاق الجدول الحالم غيظاً وجنونا
واستوى النهر على وجه الثرى جرحاً ثخينا
وانطوت دنيا الرؤى فيها ...
ومات الحالمونا

★

أي وربي لو مضى الشاعر عنا لشقينا
ولعشنا بعده في غصص لا ينتهينا

ولأمسى الله مثل الناس مغموماً حزينا !

★

زعموا ولّى ولن يرجع .. ويح الجاهلينا
لم يمت من كان لله خليـلا وخدينـا
عاش حيناً وسيحيا بعدما غاب قرونا

مازال في الأرض حيّاً

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه
نبأ وفاة صديقه الأديب الكبير الخالد
أمين الريحاني وقد تأثر بالنبأ المفاجئ

أي خطب دها فبات المهجرْ   مثل حقل مرّت عليه صرصرْ
ضربت عقد زهره فتبعثر   ومشت فوق عشبه فتنكر
بعد ان كان عبهرياً نديّا

★

قد سمعنا يا ليتنا لم نسمعْ نبأً زعزع القلوب وضعضع
فجزعنا وحقّنا ان نجـزع لفراق الفتى الاديب الألمع
وذرفنا دمعاً سخيناً سخيّـا

★

قد بكينا كما بكى لبنـان وحنتنـا كأرزه الأحزان
ليس بعد الامين ثَمّ مكان غير مستوحش ولا انسان
ذو وفاءٍ لم يبكِ ذاك الوفيّا

★

ألمعيّ قد غاب تحت الرغامِ انما لم يغب عن الافهـامِ
فهو باقٍ فينـا مدى الايام فعليه تحيّـتي وسلامـي
عاش حراً ومات حراً أبيّـا

★

لم يعفر جبينه في التراب   لم يوارب في موقف ، لم يحاب
لم يبع قومه من الاغراب   لم يسر في سوى طريق الصوابِ
لم يكن خائناً ولا امعيّا

★

عاش في الارض مثل زهر البنفسَجْ
كلما زاد فركُه يتأرَّج
وكنجم في برجه يتوهج   لا يبالي احبه من ادلج
أم أحب الليل البهيم الدجيّا

★

فابسمي فوق قبره يا نجومُ   وترنم من حوله يا نسيم
فالدفين الذي هناك يقيم   بطلٌ مصلح وروح كريم
ولسانٌ تخاله نبويّاً

وتنصّتْ إذا رأيت الأقاحي جاثياتٍ في هيكل الأرواح

قائلاتٍ بلهجـة النصّـاح أيها الناس، بعض هذا النواحِ

« فأمين » ما زال في الأرض حيّا

يا قائد القوم

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد
وقد ألقاها في الحفلة التأبينية .

يا أيها الشعر أسعفني فأرثيه ويا دموع أعينيني فأبكيه
بحثت لي عن مُعَزّ يوم مصرعه فلم أجد غير محزون أعزّيه
وما سألت امرءاً فيما تفجُّعه
إلا وجاوب — « اني من محبيه »

كأنما كل انسان اضاع اخـــاً أو انطوت فجأة دنيا أمـــانيه
فذا أساه لهيب في أضالعـــه وذا اساه دموع في مآقيـه

فهل درى أي سهم في القلوب رمى
لمـــا نعـــاه إلى الاسماع ناعيه ؟

★

يا شاعر الحسن هذا الروض قد طلعت
فيه الرياحين وافترّت أقـــاحيـــه
وشاع « ايار » عطراً في جوانبـــه
ونضرة واخضراراً في روابيـــه
فأين شعرك يسري مع نسائمه ؟
وأين سحرك يجري في سواقيه ؟
هجرته فامّحت منه بشاشته مات الهوى فيه لما مات شاديه

أغنى عن الدر في القيعان مختبئاً   درٌ يساقطه الحدّاد من فيه
وكان للسحر تأثير فـأبطله   بالسحر يجري حلالا في قوافيه
بلاغـة « المتنبي » في مدائحـه
ودمع « خنساء صخرٍ » في مراثيـه
لا يعذب الشعر إلا حين ينظمه   أو حين ينشده أو حين يرويه
ويا طبيباً يداوي النـاس من علـل
داء الأسى اليوم فيهم من يداويه ! ؟
أمسى الذي كان يشجينا ويطربنـا
لا شيء يطربه . لا شيء يشجيـه
لقد تساوى لديه شدو ساجعـة   وصوت نائحة في الحي تبكيـه
صارت لياليه نوماً غير منقطعٍ   ولم تكن هكذا قبلاً لياليه
قد كان نبراسنا في المعضلات إذا
ما ليلها جَن واربدّت نواصيـه

فمن لنا في غدٍ انْ ازمة عرضت
وليس فينا اخو حزمٍ يضـاهيه
مَن للحزين يواسيه ويسعده وللمريض يداويه فيشفيـه
يا قائد القوم إن تسأل فـانهـم
باتوا حيارى كاسرائيلَ في التيـه
لما رأوك مسجّى بينهم علمـوا
مـا العيش غير اخاييل وتمويه
يا رزق قلبي عليك اليوم منفطر
وكل قلبٍ كقلبي في تشظّيـه
لم يحوِ نعشك جسماً لا حراك به
بل انت آمالنـا موضوعة فيـه
غداً يواريك عن أبصارنا جـدثٌ
لكن فضلك لا شيءٌ يواريـه

ليتهم عرفوه !

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب
مجلة الأخلاق .

يا نفس قد ذهب الرفيق الألمعي
فتجلّدي لفراقه أو فاجزعي
هذي النهاية لا نهاية غيرها
للحي إن يسرع وإن لم يسرع

للموت مَنْ مَلَكَ البسيطةَ كلها
أو حاز من دنياه بضعة أذرع
فازرع طريقك بالورود وبالسّنا
لا يحصد الانسان ان لم يزرع
واعمل لكي تمضي وتبقى رقةً
في مبسم ، أو نغمة في مسمع
أو صورة مثل الربيع جميلة
في خاطرٍ أو ناظر مستمتع

★

يا صحبَ يعقوب ويا عشراءه
من منكمو أبكي ولا يبكي معي

إنّا تساوينا فبين ضلوعكم
نارٌ ومثل سعيرها في أضلعي

★

لبنان ، هذا من رياضك زهرة
ذهبت كأنْ في الأرض لم تتضوع

لبنان هذا من سمائك كوكب
غرّبته حتى انطوى في بلقع

لبنان هذا من مروجك قطعة
فيه بشاشة كل مرج ممرع

قل للبنفسج في سفوحك والربى
ولّى شبيهكَ في الوداعة فاخشع

وأمرْ طيورك أن تنوح على فتى
قد كان يهواها وان لم تسجع
قد عاش مثلك للمروءة والعلى
متعففاً كالزاهد المتورع
مترفعاً في قوله وفعاله
عمن غوى وهوى ولم يترفع
كم حرّضته النفس في نزواتها
ليكون صاحب حيلة أو مطمع
فأجابها : يا نفس لا تتورطي
صدأ النفوس هي المطامع فاقنعي
ليس المحارب في الوغى بأشدّ بأ
ساً من محارب نفسه أو اشجع

★

يا صاحبي اضنكتَ جسمك فاسترح
وأطلتَ يا يعقوب سهدك فاهجع
حدّثت قومك حقبةً فتسمعوا
والآن دور حديثهم فتسمّع
هجروا الكلام إلى الدموع لأنهم
وجدوا البلاغة كلها في الأدمع
كيف التفتُّ وسرت لا ألقى سوى
متوجع يشكو إلى متوجع
حتى الألى نفثوا عليك سمومهم
حزّ الأسى أكبادهم كالمبضع
عرفوا مكانك بعد ما فارقتهم
يا ليتهم عرفوه قبل المصرع

ولكَم تمنوا لو تعود اليهـم
انت الشباب إذا مضى لم يرجـع

★

حنّوا إلى أرج الازاهر بعدمـا
عبثت بهـا ايدي الرياح الأربع
واستعذبوا المـاء المسلسل بعد مـا
نضب الغدير وجف ماء المشرع
يا لوعة الاحباب حـين تساءلوا
عنه وعـادوا بالجواب الموجـع
ان الذي قد كان معكمْ قد مضى
من موضعٍ أدنى لأرفع موضـ

من عـــالمٍ متكلّـف متصنـعٍ
تشقـى نفوسٌ فيـه لم تتصنعِ

للعالم الاسمى الطهور ، ومن مُجا
ورة الانام إلى جـوار المبـدعِ

سكت الشادي وبُحّ الوتر !

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد
وقد فاجأته المنية في حفلة عرس .

لا تسل اين الهوى والكـــوثر سكت الشادي وبُـحّ الوتـر
فجأةً .. وانقلب العرس إلى مأتمٍ .. ماذا جرى ؟.. ما الخبر ؟
ماجت الدار بمن فيها ، كما ماج نهر ثـائر منكـدر
كلهم مستفسرٌ صاحبَــه كلهم يؤذيه من يستفسر

همسَ الموت بهم همسته … انَّ همس الموت ريحٌ صرصر
فاذ الحيرة في أحداقهم … كيفما مالوا وأنى نظروا
عاموا .. يا ليتهم ما علموا … ان دنيا من رؤى تحتضر !
والذي أطربهم عن قدرةٍ … بات لا يقوى ولا يقتدر
يبس الضحك على أفواههم … فهو كالسخر وإن لم يسخروا
واذا الآسي .. يد مخذولةٌ … ومحيّا .. اليأس فيه أصفر
شاع في الدار الأسى حتى شكت
أرضها … وطأتهُ والجُدر
فعلى الأضواء منه فترةٌ … وعلى الألوان منه أثر
والقناني صورٌ باهتةٌ … والاغاني عالمٌ مندثر
الهنا أفلتَ من أيديهمُ … والاماني ....؟... انها تنتحر
ذبحت أفراحَهم في لمحةٍ … قوةٌ تجني ولا تعتذر

تقلع النبت الذي تغرســه والشذى فيه . وفيه الثمـر
اعبثي ما شئت يا دنيا بنــا وتحكـّمْ ما تشا يا قــدَر
ان نكن زهراً فمــا امجادنــا أو نكن شوكاً فهذا الخطر

فلنعش في الأرض زهراً وليطـل
أجـَل الشوك الذي لا يزهـر

★

رحل الشاعر عن دار الأذى وانقضت معْه الليالي الغرر
كم حوته وحواهــا ملكاً دولة الروح التي لا تقهـر
عاش لا ينكر إلا ذاتــه ان حبّ الذات شيء منكر
شاعرٌ اعجبُ معنىً صاغـه للبرايــا .. موته المبتكـَر
الجمال الحق مــا يعبــده والجمال الزور ما لا يبصر
والحديث الصفو ما ينشره والحديث السوء ما يختصر

انه كان ملاكـاً بشراً   فمضى عنا الملاك البشر
ونفوس الخلق إما طينـة   لا سنا فيها وإما جوهر

★

يا رفيقي ! ما بلغتَ المنتهى
ليست الحدّ الاخير الحُفَر

فاعبر النهر إلى ذاك الحمى
حيث « جبران » العميد الأكبر

« ورشيد » نغمة شاديةٌ   « ونسيب » نغَمٌ مستبشر
« وجميل » فكرةٌ هائمة
« وأمين » أملٌ مخضوضر (١)

---

(١) هم رشيد أيوب ونسيب عريضه وجميل حلوه وأمين الريحاني .

قل لهم إنا غدونا بعدهم   لا حديثٌ طيبٌ لا سمر
كسماءٍ ليس فيها أنجمٌ   أو كروضٍ ليس فيه زهر
كلنا منتظرٌ ساعته   والمصير الحقّ ما ننتظر

لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضه

لم يبرح الروض فيه الماء والزهر
ولم يزل في السماء الشمس والقمر
لكنها الآن في أذهاننا صور
شوهاء ، لا القلب يهواها ولا النظر
قد انطوى حسنها لما انطوى الشاعرْ

★

قل للمغني الذي قد غصّ بالنغمِ
إني نظيرك قد خان الكلام فمي
ومثلُ ما بك بي من شدة الألم
أما العزاء فشيء زال كالحلم
كيف السبيل إلى خمرٍ ولا عاصرْ !

★

مضى الذي كان في البلوى يعزّينا
وكان يحيي — إذا ماتت — أمانينا
ويسكب السحْر أنغاماً ويسقينا
مضى « نسيب » النبيّ المصطفى فينا
وصار جسماً رميماً في يد القابرْ

★

كم جاءنا في الليـالي السود بالألقِ
وبالندى من حواشي القفر والعبـق
وبالأغاني ومـا من صادحٍ لبـق
وإنمـا هو سحر الحبر والورق
السحر باقٍ ولكن قد مضى الساحرْ !

★

كالشمس يسترها عند المسا الغسقُ
ونورها في رحـاب الأرض منطلق
تذوي الورود ويبقى بعدهـا العبق
حتى لمن قطفوا منهـا ومن سرقوا
كم عالمَ غابرٍ في عالمٍ حـاضرْ

★

ان كان مات « نسيبٌ » كالملايين
من العبيد الموالي والسلاطين
فالحيّ في هده الدنيا إلى حين
لكن نسيبٌ إلى كل الاحايين
وان نأى وسما للعالم الطاهرْ

★

لسوف يرجع عطراً في الرياحين
أو نسمة تتهادى في البساتين
أو بسمةً في ثغور الخرّد العين
فالموت ما هدّ إلا هيكل الطينِ
لا تحزنوا ، فنسيبٌ غائبٌ حاضرْ

ريحُ الرَّدَى

عصفت ريح الردى بالمشعل

فخبــا

★

أيها النائم عنــا والعيون

في سهر

نحن من بعدك اسرى للشجون

والكدر

تشتكي أرواحنا ظلم المنــون

والقــدر

للسما . للّيل . للفجر الجلي

للربــى

★

للاقــاحي الذابلات الذاويه

كالأمــاني

للسواقي النائحات الباكيــه

كالغوانـــي

سلبَ الدهر حلاها الغــاليه

في ثوانٍ

وبشاشات الزمان الاول
والصبا

★

يا ربيعاً من وفاء وكرم
في بدن
من رأى قبلك دنيا في شيم
في كفن
خلصت روحك من سجن الألم
والشجن
ومضى للبحر ماء الجدول
طربا

★

يا كريم الاصل قد زانك فعلُك
وصفـــاتـك
عشت للناس كأن الكل اهلاك
ولداتك
لهمُ كل الذي تحوي و تملك
وحياتك !
كنت في دنيا الضباب المسدل
كوكبـا
★
عصفت ريح الردى بالمشعل
فخبـــا
فـــاذا كل قصور الامـــل
كالهبـــا

الشاعر في حفلات تكريمه

الماهدون في المهجر

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامها المجلس الملي في مونتريال ، كندا ، لمناسبة مرور ٤٠ سنة على تأسيسه .

الأربعون لو انها تتكلم   لروت لنا قصص العظائم عنكم
ولحدثتنا كيف عن اعشاشكم   طرتم باجنحة المنى إذ طرتم
يوم الفراق كظمتم آلامكم   واخفّ من ألم الفراق جهنم

وبكى الأحبة حولكم وجفونكم

تعصي البكا . حزنُ الجبابر ابكم

أيدٍ تودع موطناً وعشيرة ومطامح خلف البحار تسلّم

ضاقت على أحلامهم تلك القرى

فاخترتم الدنيا الوساع لتحلموا

وغزوتم الافاق لا زاد لكم الا الصبا المتوثّب المتضرم

كالليث ليس له سلاح في السرى

إلا مخالبه التي لا تثلم

تتخيلون البحر شُق لتعبروا وانداح بين الشاطين لتسلموا

والدر مخبوءاً لكم في قاعه كي تخرجوه وتغنموا ما شئتم

والموج إذ يطغى ويهدر حولكم

جوقاً لطرد همومكم يترنم

وإذا النجوم تألقت تحت الدجى
خلتم لأجلكم تضيء الانجم
وحسبتم شُم الجبال سلالماً
نُصبت لكم كي تصعدوا فصعدتم
والشمس منجم عسجدٍ متكشّفٍ
لذوي الطموح وأنتمُ انتمْ هم
ولكم تلثمت الحقائق بالرؤى
كالارض يغشاها السراب الموهِم
لتطلّ من أرواحنا أشواقها
فنطوف حول خدورها ونحوّم
لم تقنعوا كالحاملين بأنكم
لكمُ شراب في الحياة ومطعم

لو ان تكون حياتكم كحياتهم
عبثا يموت به الوقار ويعدم
وتأففاً في الليل وهو منور وتبرماً في الصبح وهو تبسّم
لو ان يكون تراثكم كتراثهم قصر عفا أو هيكل متردم
وحديث اسلاف قد التحفوا الفنا
فهم سواء في القياس وجُرْهُمُ
من يقتربْ من امس يبعدْ عن غد
ويعشْ مع الموتى ويصبحْ منهم !
وكرهتم ان تنقضي أيامكم
شكوى لمن يرثي ومن لا يرحم
أو أن يبيت على الحضيض مقامكم
والدود يزحف فوقه والأرقم

فنفرتمُ كالنحل ، ما من زهرة
فيها جنى ، إلا وفيها مغنم
في كل شط مارد ، في كل طود
قشعم . في كل واد ضيغم
المجد مطلبكم وانتم سهّد والمجد حلمكمُ وانتم نوّم
لا شيء صعب عندكم حتى الردى
الصعب عند نفوسكم ان تحجموا
يا بضعة من أمة . هي أمة
في ذاتها . ولها طراز مُعلَمُ
فيكم جميع صفاتها وخلالها والروض يحويه عطوراً قمقم
ان الألى عابوا الجهاد عليكم
علكوا مداركهم ولم يستطعموا ..

طلبوا السلامة في القعود ففاتهم
درك الثراء وبعد ذا لم يسلموا !
أولاء دود القز أحسن منهم وأجلّ في نظر الحياة وافهَم
قالوا كهول قد تصرم عصرهم
ليت الشباب من الكهول تعلموا
ان لم تشيدوا كالاوائل « تدمراً »
أو « بعلبكّ » فانكم لم تهدموا
ولكُم غد وجماله وبهاؤه
ولكم من الامس النفيس القيّم

★

حدثت نفسي والقطار يخبّ بي
عجلان يخترق الدجى ويدمدم

فسألتهـا مستفهماً ، ولربما سأل العليم سواه عما يعلم

ما احسن الايام ؟ قالت : يومكم !

والناس ؟ فابتدرت وقالت : انتم

والدور ؟ قالت : دوركم . والمال ؟

قالت : ان احسنه الذي أنفقتم

والحسن ؟ قالت : كل مـا أحببتم

والارض ؟ قالت : أينما استوطنتم

ما كان أكمل يومكم وأتمَّـــه

لو لم يكن في مهـد عيسى مـأتم

وكذا الحيــاة قديمهـا وحديثهـا

ذكرى نُسرّ بهـا وذكرى تؤلم

قِف يا قِطارُنا

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامتها
مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو

منذ افترقنا لم أذق وسَنا   لله ما صنع الفراق بنا
قل للخليّين الهناءُ لكم   الحب قد خلق العذاب لنا
لم أنس قولتها التي ملأت   نفسي أسى وجوانحي شجنا
ماذا جنينا كي تفارقنا   أمَلِلتنا وسئمت صحبتنا

فأجبتهـا بلسـان معتـذرٍ لم تجنِ انت ولا مللت انا
لكن رأيت المـاء منطلقـاً رياً ، فان هو لم يسرْ أسِـنا
والسيف ان طال الثواء بـه يصدأ ويصبح حده خشنـا
والسحب ان وقفت ومـا هطلت
لم تروِ أوديـةً ولا قننـا
ان الحياة مع الجمود قـذى ومع الحراك بشاشةٌ وهنـا
لا تعذليني فالقُرى أربـي حيث الحياة رغائب ومـنى
حيث النجوم تلوح سـافرة لم تلتحف ستراً ولا كفنـا
والفجر ملء جيوبـه أرَج والطير يملأ شدوها الوكُنا
وعلى الربى الاظـلال راقصـة
ويـد النسيم تداعب الغصنـا
ويح المدائن ان ساكنهـا كالميت لم يُطمر ولا دفنا

كم رحت استسقي سحائبها فَهَمتْ ولكن محنةً وضنى
ولكم سهرت فلم أجد قمراً ولكم شدوت فلم أجد أُذنا
لو كان يألف بلبل غردٌ قفصاً ، أحبَّ الشاعر المدنا
كره الورى طول المقام بها فاستنبطوا العجلات والسفنا
ولقد ظفرت بمركبٍ لجبٍ
فخرجت أطوي السهل والحزَنا
والشوق يدفعه ويدفعني حتى بلغت المنزل الحسنا

★

قف يا قطار على ربوعهم إن الأحبة يا قطار .. هنا
هذي منازلهم تهش لنا اخطأت .. بل هذي منازلنا
ما حلّ منهم موضعاً أحد إلا وصار لكلّنا وطنا

« سورية » في « كانتن » نغمٌ
عذب ، « ولبنانُ » شذى وسنا
ان تنطفئ زهر النجوم ففي
هذي الوجوه عن النجوم غنى
وإذا الحياة طوت محاسنها عني وصار نعيمها محنا
مثّلتهم في خاطري فاذا دنياي فيها للسرور دنى

★

يا قوم هذا اليوم يومكمو من ينتهزه ينلْ رضى وثنا
فلتنبسط ايديكمو كرماً السحب انفعها الذي هتنا
أنا لا أرى مثل البخيل فتى يضوى ويهزل كلما سمنا
من لا يشيد بماله اثراً أو يستفيد بماله مِننا

ويعيش مثل العنكبوت يعشْ
في الناس مذموماً وممتهنا
فابنوا وشيدوا تكرموا رجلا
كم قد سعى من أجلكم وبنى
وطنٌ واهل لائذون بكم
افتخذلون الاهل والوطنا ؟
« قَطَنا » بنوكِ اليوم قد نهضوا
فنمجدي ببنيكِ يا « قَطَنا »

«ميامي فلوريدا»

ألقاها في المأدبة التي أقامها النادي السوري اللبناني الاميركي في ميامي فلوريدا تكريماً له.

ما طائر كان في بيداء موحشةٍ — فساقه قدرٌ نحو البساتينِ
فبات تسعده فيها بلابلها — حيناً ويسعدها بعض الأحايينِ
مني بأسعدَ حظاً مذ نزلت بكم — يا معشر الساد الغر الميامينِ

فررت من برد كانون فقابلني
في أرضكم بالأقاحي شهر كانون
انسام « ايار » تسري في أصائلها
وفي عشياتها أنفاس « تشرين »

توزع السحر شطراً في مغارسها وآخر في لحاظ الخرّد العينِ
كل الشتاء ربيعٌ في شواطئها وكل أيامها عيد الشعانين
لكن «ميامي» وان جلّت مفاتنها لولا وجودكم ليست لتغريني
اني لأشهد دنيا من عواطفكم أحبُّ عنديَ من دنيا الرياحين
وكلما سمعتْ نجواكم أُذني ظننت انيَ في دنيا تلاحينِ
لأنتم النور لي والنور منطمس وانتم الماء اذ لا ماء يرويني
أحببتكم حب إنسان لإخوته إذ ليس بينكمُ فوقي ولا دوني

ان كان فيكم قويٌّ لا يقاهرني
أو كان فيكم ضعيف لا يداجيني

قل لامرئٍ مثل قارون بثروته

انّي امرؤ بصحابي فوق قارون

من يكتسب صاحباً تبقى مودته

فهو الغنيّ به لا ذو الملايين

فاخترْ صحابك وانظر في اختيارهم

إلى الطبائع قبل اللون والدين

ليس الوداد الذي يبقى إلى أبد

مثل الوداد الذي يبقى إلى حين

والمرء في هذه الدنيا عواطفه

إن تندرس فهو بيتٌ غير مسكون

وان عاطفةً هذي مظاهرها

من عالم الروح لا من عالم الطين

لو فاتني كل ما في الارض من ذهب

ولم تفتني فاني غير مغبون

لو القوافي تؤاتيني شكرتكمُ

كما أريد ، ولكن لا تؤاتيني

لا يمدح الورد انسانٌ يقول لـه يا ورد انك ذو عطرٍ وتلوين

فاستنطقوا القلب عني فهو يخبركم

فالحب والقلب مكنـون بمكنون

لولا المحبـة صـار الكون أجمعه

طوبى الأفاعي وفردوس السراحـين

اني سأحفظ في قلبـي جميلكـم

وسوف أذكره في العسر واللـيِّن

نُزهة جِلَّق

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها
له الجالية في مونتريال .

لا تقلقي يوم النوى أو فاقلقي
يا نفس كل تجمُّع لتفرّقِ

الله قدّر ان تمس يد الاسى
أرواحنا كيما ترقّ وترتقي

أوفى على الشهب الدجى فتألقت
لولا اعتكار الليل لم تتألقِ

والفحم ليس يضيء ان لم يضطرم
والندّ ليس يضوع ان لم يُحرقِ
لا أضرب الامثال مدحاً للنوى ليت الفراق ويومه لم يُخلق
ما في الوداع سوى تلعثم ألسن وذهول أرواح وهمّ مطبق

★

عنّفتُ قلبي حين طال خفوقه فأجاب – بل لمني إذا لم اخفق
انا طائرٌ قد كان يمرح في الربى
وعلى ضفاف الجدول المترقرق
فطوى الفضاء، مروجَه وفضاءه ليزجّ في قفص الحديد الضيق
لا . بل انا ملكٌ صحوتُ فلم أجدْ
عرشي ولا تاجي ولا إستبرقي

★

هانت معاذيري وضاعت حكمتي
لمّا سمعت حكاية القلب الشقي
لو تعدل الدنيا بنا لم ينتثر شمْل نظمناه ولم نتفرقِ

★

لله مونتريالكم ذات الحلى ومدينة الطود الأشمّ الابلق
كم وقفةٍ لي عند شاطئ نهرها لا أستقي منه ، وروحي تستقي
متعلماً منه التواضع والندى
والصفح عن عبث الجَهول الاحمق
اعطى الحقولَ حياتها ومضى كأنْ
لم يعطها شيئاً ولم يتصدّق
من كان لا يدري فيقظة زرعها من فضل هذا الهاجع المستغرق
ضيّعت عند الواعظين سعادتي ووجدتها في واعظٍ لم ينطق

ملءُ المدائن والقرى آلاؤه ... وهباته ويعيش عيشَ المملقِ
لولاه لم يخضرّ قاع مجدبٌ ... لولاكمُ شجرُ المنى لم يورق
عرضت محاسنها الحياة عليكم ... فاخذتم بأحبّها والأليقِ
أنا منكم في روضة معطارةٍ ... من مونقٍ فيها اللحاظ لمونق
العطر يعبق من جميع ورودها ... ما ان مررت بزهرة لم تعبق

★

لله مونتريال كم وجلالها ... هي رومة الصغرى وضرّة جلّق
رقت عليّ نجومها وتواضعت ... حتى لكدت أحسها في مفرقي
فكأنما هي انتم وكأنما ... أرواحكم من نورها المتدفق
رجع الشباب إليّ حين هبطتها ... واليوم اخرجُ من شبابي الريق
سأطير عنها في غدٍ بحشاشة ... مكلومةٍ وبناظر مغرورق
ويغيب عنّي طودها وقبابها ... وقصورها خلف الفضاء الأزرق
وتظلّ صورتها تلوح لخاطري ... بعضُ الرؤى سلوى وان لم تصدق

الشبابُ أبو المعجزات

سلام عليكم رجال الوفاءِ   والف سلام على الوافياتْ
ويا فرَح القلب بالناشئين   ففي هؤلاء جمال الحياة
هم الزهر في الارض إذ لا زهور
وشهبٌ إذِ الشهب مستخفيات
إذا أنا أكبرت شأن الشباب   فأن الشباب ابو المعجزات
حصون البلاد وأسوارها   إذا نام حراسها والحماة

غدٌ لهمُ وغدٌ فيهمُ فيا امسُ فاخرْ بما هو آت
ويا حبذا الامهات اللواتي يلدن النوابغ والنابغات
فكم خلدت امّة بيراع وكم نشأت أمة في دواة

★

أنا شاعر أبداً تائق إلى الحسن في الناس والكائنات
أحب الزهور وأهوى الطيور واعشق ثرثرة الساقيات
ورقْصَ الاشعة فوق الروابي وضحك الجداول والقهقهات
تطالع عيناي في ذا المكان روائع فاتنة ساحرات
كأن الفضاء وفيه الطيور بحورٌ بها سفُنٌ سابحات
كأن الزهور ترقرق فيها سقيط الندى أعين باكيات
ومن بلبل ساجع لمُغنّ ومن زهرة غضة لفتاة

★

فما أجمل الصيف في الخلوات وأروع آياته البيّنات
نضا الستر عن حسنات الوجود وكانت كأسراره المضمَرات
وأحيا رغائبنا الذابلات فعاشت وكانت كأرض موات

ففي الارض سحر ، وفي الجو عطر
فيا للكريم ويا للهبات
أمامكمُ العيش حرّ رغيد
ألا فاغنموا العيش قبل الفوات

فهرست

صفحة

تحية الشاعر

دمعة الشاعر

الشاعر في حفلات تكريمه

مطبعة العلوم
حارة حريك - لبنان



الشاعر

● ولد شاعر المهجر الأكبر في قرية المحيدثة من لبنان سنة ١٨٩٠ وتوفي عام ١٩٥٧ في نيويورك .

● أحدث تجديداً في الكلمة الشعرية ، جعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية من غير ان تخرج من إطار البساطة والوضوح .

● قال جبران : « تجد في شعر أبي ماضي كؤوساً تملأه بتلك الخمرة التي إن لم ترشفها تظل ظمآن ... »

● نشر ابو ماضي في حياته اربعة دواوين هي « تذكار الماضي » و « ديوان ايليا ابو ماضي » و « الجداول » و « الخمائل » وأعدّ للطبع ديوانه الخامس « تبر وتراب » .

وها هي ذي دار العلم للملايين تقدّم شعر أبي ماضي في كؤوس تعكس صفاء الجداول وسحر الخمائل ووهج التبر ... ليرشف منها جميع الظامئين ... !